سيرة أهل البيت

سيرة أهل البيت

(مختصر)

تأليف

الدكتور حسن عباس نصر الله

إعداد

حياة شمس الدين

الفصل الأول

سيرة أهل البيت

من هم أهل البيت؟

في صحيح مسلم[1]، عن عائشة قالت: خرج النبي غداةً وعليه مرط مرحَّل[2]، فجاء الحسن بن عليّ فدخل معه، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثما جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

روى الأصبغ عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين، مطهرون معصومون».

وقد حسَمت روايات الصحاح وكتب التاريخ الخلاف حول هوية أهل البيت.

وقد تكررت هذه الأحاديث النبوية بطرق مختلفة بان أهل البيت هم: النبي ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

أها البيت هم من عصمهم الله من الذنوب وبرَّأهم من العيوب، وطهَّرهم من الدنس، وجعلهم خزَّان علمه، ومستودع حكمته، وموضع

---

(1) صحيح مسلم والبخاري.
(2) مرط مرحّل: كِساء موشّى عليه صور رحال الإبل.

سره. ولولاهم لما عرف الحق من الباطل، ولا العلم من الجهل، أحيا بهم دينه وأتمَّ بهم نوره.

والعصمة تحفظ حق الله وحق العبد، ولا تكون إلا للأنبياء والأوصياء.

إن الذين يُنكرون العصمة ويخشونها، يريدون للبشر أن يعيشوا في مجتمعات، يأكل فيها القوي الضعيف، لا عدل ولا مساواة ولا حقوق، ولا تعاليم إلهية. الخوف من العصمة أخذت المجتمعات العربية إلى الهاوية، لقد فضلوا الحاكم الظالم والمتهتك على المعصوم وأطاعوه. لقد حكمهم الأتراك والفرس والأكراد والمغول والمماليك والغرب، وأخيراً حكمهم الصهاينة اليهود، بضعة ملايين من الصهاينة أذلّوا هذه الأمة الخائفة من العصمة.

عندما وزَّع الإمام عليّ ما ضمَّ بيت المال، على المسلمين بالتساوي وأخذ هو ثلاثة دنانير، وأعطى خادِمه ثلاثة دنانير، ثارت ضده الطبقة الأرستقراطية الإسلامية وعاتبه طلحة والزبير وغيرهما، قالوا: يا عليّ أتجعل أعطياتنا مثل أعطيات خدامنا؟ أجابهم: هذه عدالة الإسلام!! فخرجوا عليه وحاربوه في معركة الجمل.

إشكالية الشورى

أراد المسلمون العمل بالشورى، وهم لا يملكون ثقافة الشورى، فهي تتطلب تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وقد دعا الإسلام إلى الشورى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ ولكن لا تعني مشاورتهم في أمر الوحيُ إنما في الأمور الحياتية الأخرى، ومع ذلك فقد فشل المسلمون في القيام بمبدأ الشورى، لأنهم كانوا أبناء مجتمع قبلي، وقد ظلّت المنفعة الشخصية تغلب على الأكثرية منهم.

لقد شاور النبي ﷺ أصحابه قبل معركة بدر، وخيَّرهم بين أن تعود القافلة التجارية من الشام، وبين مواجهة المشركين، فاختاروا ما تمليه عليهم مصالحهم الخاصة، فنزلت الآية تقول: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [الأنفال: 7] لقد اختاروا الغنيمة خوفاً. وهرباً من الحرب، مع أن جبرائيل قد أخبر النبي بالنصر، وقد أراد الله ورسوله الحرب ليقطع دابر المشركين، والمسلمون أرادوا القافلة، وسقطت الشورى.

ـ وشاورهم النبي في قضية الأسرى بعد الانتصار في معركة بدر فساروا وراء مصالحهم، وكذلك شاورهم في معركة «أُحد» وفشلوا في المشورة وكان العقاب قاسياً، قدَّموا سبعين شهيداً منهم الحمزة، وكانت هزيمة «أُحد» جزاءً لخطأ الشورى مرَّتين.

ـ الشورى تعنى العمل برأي الأكثرية، وخضع فريق من المسلمين إلى هذه الشورى، وأهملوا رأي النخبة ورأي نبيُّهم. لكن الأكثرية مذمومة في القرآن الكريم، فأكثر الناس لا يؤمنون ولا يعلمون ولا يشكرون وأكثرهم لا يعقلون وهم للحق كارهون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 116] والذين يفوزون ويُفلحون هم قلّة قليلة: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾.

إشكالية الخلافة:

تحولت الخلافة الإسلامية إلى مُلك، كان الخليفة هو الحاكم المطلق

مثل قيصر الروم، وكسرى الفرس، وفرعون مصر. لم يكن الأنبياء والرسل ملوكاً وحكاماً.

عندما أصبحت السلطة للنبي ﷺ على المسلمين بعد معركة بدر، لم ينصب نفسه ملكاً، بل ظلَّ نبيّ الرحمة لأن الله قد اختاره، وكذلك الإمامة فهي امتداد للنبوّة، ولا يمكن أن تكون شورى بين الناس الذين أكثرهم جاهلون، لقد أرادت قريش النبوَّة لرجلين من أغنياء القوم، ولم تقبل بـ محمد نبياً، واختارت الوليد بن المغيرة في مكَّة وعروة بن مسعود الثقفي في الطائف وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾ [الزخرف: 31].

لقد عيَّن المسلمون الخلافة الزمنية، لكن الخلافة أو الإمامة الدينية ظلَّت لأصحابها.

لم تكن إمامة عليّ من عند محمد، وإنما هي تعيين إلهي لأن الأنبياء لا يعلمون ما تخفي الصدور من نفاق وأمراض ولكن الله لا يعلم أين يضع رسالته.

لقد اختار موسى عليه السلام لميقات ربه سبعين رجلاً من وجوه قومه ظنَّهم مؤمنين، فكانوا منافقين. وقال تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [الأعراف: 155]. وقد عاقبهم الله على نفاقهم.

وخشي النبي من تسمية عليّ خليفة له لأنه كان يعلم الهمس من بعض المسلمين وقولهم أن النبوَّة والخلافة لا تجتمعان في هاشم، ولكن الله يريدها لعليّ، وهم يريدون الخلافة لهم فعاتبه رب العالمين وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: 67].

وقد بلَّغهم الرسول في «غدير خم» في حجة الوداع، وقال لهم في خطبته

المشهورة، وقد ذكرتها كل المصادر التاريخية: «من كنت مولاه[1] فهذا عليّ مولاه...»، ولكن المسلمين خالفوه بعد موته، كما خالفوه يوم بدر، وفي مسألة الأسرى ويوم أُحد عندما خالفه الرماة حتى وقعت هزيمة المسلمين، نقضوا البيعة وتشاجروا في سقيفة بني ساعده بين المهاجرين والأنصار، كل يقول منا أمير ومنكم أمير، وتمَّت الغلبة للمهاجرين لأنهم ورثة محمد، وآل البيت وبني هاشم غائبون، وبعد ذلك سكت عليّ وقال: لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، أورث السكوت لأولاده الأئمة صوناً للإسلام.

رأى الإمام أن الناس لا يخضعون طوعاً للحاكم السياسي، إنما يخضعون قسراً وقهراً، بالسوط والعصا والسيف، أو شراءً بالدرهم والدينار.

لن يخضع الناس لحاكم مثل عليّ لأنه لن يستعمل معهم هذه الأساليب التي استعملها هؤلاء الحكام، قد ينفع أسلوب عليّ والأئمة لو أن الناس بلغوا مرحلة متطورة من الحرية والمعرفة الحضارية والفهم السياسي والامتلاء بالفقه حلالاً وحراماً، وأدركوا معنى العدالة في توزيع الثروة والمساواة بين الناس.

إن الشعب الذي يعشق الحرية والعدالة والتطلع إلى بناء مجتمع إسلامي مثالي، لم يتحقق بعد وفاة النبي ولا في العهود الإسلامية المتلاحقة، وإلى اليوم، ظلَّ المسلمون يُحكمون بملوك وحكام ظالمين ويتوارثون (الدكتاتورية) أمويين وعباسيين وأتراك وفرس ومغول وتتار ومماليك وأكراد وفرنجة، لأن الشعوب المتخلفة والجاهلة لا يحكمها إلا السيف.

---

(1) الاحتجاج

أما أهل البيت لا يمكن أن يحكِموا بالسيف والبطش، لأن هذه الأساليب تتنافى مع العصمة والعدالة والحرية.

لقد قتل الحاكم يزيد بن معاوية المزوّر ريحانة رسول الله وسبطه وهجمت جيوشه على المدينة المنورة وقتلت المئات من الصحابة والأنصار، لقد أباحها لجنده فاعتدوا على النساء وقتلوا الأطفال وبعدها هدم الكعبة في مكة، ثم هدمها عبد الملك ابن مروان مرَّة ثانية، وظلَّ المسلمون يقولون عن الحاكم الظالم: الخليفة وأمير المؤمنين.

خضعوا لسيف الوليد بن يزيد الذي مزَّق القرآن وأحرقه، والفقهاء صمتوا وبرَّروا فعلته.

لم يطلب الأئمة الحكم، وعندما أرسل «أبو سلمة الخلال» كتاباً إلى الإمام الصادق يدعوه للنهوض واستلام الخلافة، أحرق الكتاب جواباً، لأن الإمام كان يعرف واقع المجتمع ويدرك أن المسلمون لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وأنه سيخوض في دماء المسلمين من أجل سلطة لا تساوي نعلاً خصَفَها جدُّه عليّ.

والإمام الرضا رفض الخلافة التي عرضها عليه المأمون، وقبل ولاية العهد بشروط لا تأخذه إلى الظلم.

الخلافة الزمنية لا تقوم إلا بالسيف وسفك الدماء وظلم الناس وقهرهم، بينما الإمام العادل يريد أن يرعى شؤون المجتمع قبل مصالحهِ الخاصة.

إن ديمقراطية أهل البيت لا تستقيم مع مجتمع لا يؤمن بها، لأن هناك فرق كبير بين من يجاهد من أجل عقيدته ويضحي من اجلها، وبين مرتزق يقاتل من أجل السلب والنهب، أو خوفاً من قطع عنقه إذا لم يقاتل.

لقد انفضَّ الناس عن أهل البيت لأن الأغلبية تميل إلى الراحة والعبث، ولكن الله عز وجل يقول للمؤمنين: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] لذلك قال الإمام الصادق: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يستطيعه إلا مؤمن امتُحِن قلبه بالإيمان».

شهوة الملك:

للإنسان قابلية التملك، لذلك قد يضحي البعض بدينه وبحياته وأهله وأصدقائه، وقد يستخدم القهر والقتل من أجل الوصول إلى المُلك والسلطة.

لقد ضحى آدم بالجنة قبل أن يصبح نبياً وخضع لإغراء الشيطان ونسي العهد مع خالقه.

أما النبي محمد ﷺ فقد رفض الملك وقال لعمه أبو طالب: «والله يا عماه لو وضعوا الشمس بيميني والقمر في شمالي، لما تركت هذا الأمر».

شهوة الملك جعلت هارون الرشيد يقول لابنه المأمون: «الملك عقيم يا بني، لو نازعتني إياه لنزعت الذي فيه عيناك» الصحابة خالفوا وصايا الرسول طلباً للملكُ أما النبوَّة والإمامة المعصومة فهي مناصب إلهية لا تؤخذ بالقوة أو المال لأن العصمة تحرسها، ويقول الله سبحانه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لقد عاش أهل البيت حياةً واقعية مع الناس لتعليمهم وهدايتهم، وقد سلكوا طريق الأنبياء، علّموا الناس المحبَّة، عاشوا سعادةً روحية مع الله، لم يكن همّهم المناصب والقصور والطيبات، لقد حرَّموها على أنفسهم وترفعوا عنها، في حين كان غيرهم يأكلون أموال المسلمين ظلماً وترفاً، وما زالت الطبقية قائمة إلى اليوم بين المسلمين لأنهم تخلّوا عن أهل البيت وعن أتّباعهم.

فكان للنبي ﷺ الوحي والقرآن والحديث، وهو مدينة العلم وكان

لعلي باب مدينة العلم، وعنده علوم السماء والأرض وقد جمع القرآن وكان أعلم الناس بآياته وأسباب نزولها وأمكنتها ومعانيها وأحكامها.

وعلوم الأئمة من بعده تتشابه في الأقوال والأفعال، كان كل إمام يحفظ أحاديث النبي ويأخذها عن أبيه وجده ويقتدي بسيرة أبيه وجده التي تربى عليها.

محبة أهل البيت

أُنزلت في القرآن آية لمحبة أهل البيت: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ [الشورى: 23].

لقد أحب الرسول أهل بيته ودعا الناس إلى محبتهم بأحاديث كثيرة صحيحة، يقول فيها إن أهل بيتي هم: علي وفاطمة والحسن والحسين، وقد ضمّهم تحت الكساء ونزلت فيهم آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]. وقد سار بهم إلى درب المباهلة مع نصارى نجران. ولكن ماذا فعلت هذه الأمة بوصايا الرسول، لقد قتلوهم وشردوهم وقتلوا الصحابة الذين لم يتبرؤا منهم مثل حجر بن عدي وغيره وسبّوا عليّ على المنابر، وكان عليّ يقول لأصحابه: «إذا دُعيتم لسبّي فسبّوني فإن لكم فيها نجاة ولي فيها زكاة، ولكن لا تتبرؤا مني، لأني ولدت على فطرة الإسلام[1].

سلك أهل البيت طريق الأنبياء في الدعوة إلى الله، وسعوا لإقامة

---

(1) نهج البلاغة.

مجتمع مثقف إسلامياً، وساروا على خطى جدهم الرسول علموا الناس على المحبة والتسامح والعفو.

كان النبي يوصي بحسن الجوار حتى ظن الناس أنه سيورثه وكان زين العابدين يقول للزهري[1]:

يا زهري ما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك أو أخيك، ولكن المسلمين ساروا على خطى المشركين وقالوا: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82].

الشيعة:

جاء في لسان العرب: غلب هذا الاسم، على من كان يتولى عليّاً وأهل بيته ويجتمعون على محبتهم بدأ التشيُّع في عهد مبكّر في حياة النبي ﷺ وأقطاب الشيعة من الصحابة هم: أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر، والمقداد بن عمرو الكندي.

الأحاديث النبوية:

حديث النبي لم يجمع في عهده، وقد اعتدى الناس على حديثه وكذّبوا وزوروا وغيروا وبدّلوا، فكتبت الأحاديث لترضي الحكام ولتبرر لهم أعمالهم، وكان الرسول قد تنبأ بذلك فقال في حجة الوداع: «لقد كثرت عليَّ الكذَّابة وستكثر بعدي فمن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده في النار».

---

(1) الزهري: هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وكان من الحفاظ والفقهاء.

إن هذه الأحاديث المزورة والمتناقضة أدَّت إلى الاختلاف بين المسلمين ومزَّقت وحدتهم.

تراث أهل البيت:

ترك لنا أهل البيت تراثاً من الأحاديث النبوية، والفقه، والتفسير الصحيح للقرآن، والعلوم، والمناظرات، والرسائل الإرشادية، والحكمة، موزّعة في كتب السابقين والحاضرين.

نهج البلاغة:

وهو مجموعة من الخطب والرسائل والحِكَم أطلقها عليّ وجمعها الشريف الرضي في كتاب أسماه نهج البلاغة وقد ترجم إلى لغات عالمية.

الصحيفة السجَّاوية:

وهي مجموعة من الأدعية لزين العابدين رسمت منهجاً للدعاء يرسم واقع الحياة الاجتماعية.

الانتقام من أهل البيت:

انتقم المسلمون من أهل البيت انتقاماً مؤلماً، فقتلوهم بالسيف، ودسّوا لهم السم، وسجنوهم وعذبوهم وجعلوهم أسرى وقتلوا أبناءهم وأحفادهم.

حمل الإمام عليّ راية الإسلام منذ طفولته، وقتل الصناديد من مشركي قريش، وكان لا بد أن يدان فيقتل شهيداً، وطال القتل ذريته على امتداد قرون، من كربلاء إلى مئات الوقعات، وقد أرَّخ لها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «مقاتل الطالبين».

هل التزم المسلمون بتعاليم القرآن:

بعد الخلافة الراشدة تداول الحكام فحكموا واستغلوا قوّة الإسلام لمصالحهم الشخصية وقتلوا المسلمين الأبرياء واستأثروا بالغنائم وبأموال المسلمين، إن غنائم الحرب ما زالت مباحة حتى اليوم، تسلَّطوا على مقدرات الأمة وسرقوا خيراتها ومارسوا أسوء أنواع القهر على الشعوب من قتل وأسر وسجن.

الأسرى:

أوصى الإسلام بالأسرى خيراً، إلا مرَّةً واحدة يوم بدر إذ غنم المسلمون سبعين أسيراً فأطلقوا سراحهم بفدية مالية فنزل العقاب من السماء وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67].

قالت لهم الآية: إن القتل في هذه الحالة الاستثنائية، هو المطلوب وليس الفداء، لإضعاف شوكة المشركين الطغاة، ولكن هذه الآية نُسخت، وجاء القرآن بآية أخرى: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [محمد: 4].

شرَّعت الآية إطلاق الأسرى منَّة بدون مقابل، أو الفداء بالمال أو الخدمات، أو إطلاق أسرى مسلمين، لأن الإسلام قد انتصروقوى نفوذه، وقد تحذَّث النبي بجملة أحاديث تدعو إلى إكرام الأسير وإطعامه من الطعام نفسه الذي يأكل منه من أسره.

عن الإمام الصادق عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إطعام الأسير حق على من[1] أسره».

---

(1) وسائل الشيعة.

الصحابة:

الصحابة هم الذين أسلموا وصحِبوا النبي في حياته وبقوا معه، وحاربوا معه وجالسوه وسمعوا أحاديثه وتلا الوحي والقرآن عليهم منزلاً من السماء.

لقد امتدح النبيّ صحابته، وهم شكّلوا نواة الإسلام وجمهوره لكن الصحبة لا تعصم أصحابها عن الأخطاء والذنوب، لأن منهم من آمن وأسلم، ومنهم من أسلم ولم يؤمن، ومنهم من نافق فأعلن الإسلام وأضمر الكفر.

وفريق من الصحابة زوَّر الأحاديث ونسبها إلى النبيّ. وبعضهم ارتدّ عن الإسلام، والصحابة لم يدّعوا لأنفسهم العصمة.

وقد أشار القرآن مراراً إلى التصرفات الخاطئة لبعض الصحابة ـ عندما كانوا يصلّون مع النبيّ نهار الجمعة، فقدمت عير[1] وضُرب لها الطبل كعادتهم فخرج الناس من المسجد ولم يبق إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11].

ويوم أُحُد عزف بعض الصحابة عن القتال وانهزم المسلمون ونزلت الآية تقول: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: 167].

ومن الصحابة عبد الله بن سلول الذي لقب برأس النفاق. سار مع النبي يوم أحد ثم عاد بثلث الناس وخذل النبي مبرراً خيانته بقوله:

---

(1) العير: هي القافلة التجارية.

«أطاعهم وعصاني» أي أن النبي أطاع المسلمين وخرج لملاقاة المشركين، ولم يطع ابن سلول بأن يتحصن بالمدينة.

ـ عشرات من الآيات القرآنية تؤنب فريق من الصحابة لأجل تصرفاتهم الخاطئة، ففي معركة أُحد ترك الرماة المرابطة عند المضيق ولم يطيعوا الرسول بالبقاء في أماكنهم، فأسرعوا إلى السلب والنهب، مما سبّب هزيمة المسلمين، وقد قال الله عنهم:

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: 154]. أي عادوا إلى الجاهلية، ولا يهمهم إلا الغنائم.

ـ ثلاثة من أصحاب الرسول: علي وطلحة والزبير، أسلموا وصلّوا وجاهدوا ودافعوا عن النبي ولكنهم تخاصموا يوم الجمل وتقاتلوا فقُتِل طلحة والزبير وسقط الآلاف معهم من الصحابة، فهل هؤلاء الناكثون من الصحابة كانوا يقاتلون من أجل الإسلام، أم من أجل مصالحهم الشخصية.

ـ مالك بن نويره كان من صحابة الرسول وقد عيَّنه أميراً ليجمع صدقات بني حنظلة، وقيل أنه ارتد في عهد الخليفة أبي بكر فقتله خالد بن الوليد ونزا على زوجته في نفس الليلة، فقال له عمر بن الخطاب سأرجمك بحجارتك يا خالد، فقال أبو بكر لعمر: كفّ لسانك عن خالد فهو من الصحابة.

كل هؤلاء صحابة، من أخطأ؟ ومن القاتل؟ ومن المقتول؟ ومن الطالب للرجم ومن المانع؟

ـ كان السامري صاحباً للنبي موسى وهو من وجهاء بني إسرائيل لم تمنعه الصحبة من أن يتخذ العجل إلهاً ويضلَّل الناس.

ـ كان معاوية صحابياً، وقد رفض بيعة الإمام عليّ وحاربه، والحكم الإسلامي يعتبره مرتداً لأنه خرج عن البيعة الشرعية، ولكن معاوية بقي الخليفة، وأمر بسب الخليفة الشرعي على سبعين ألف منبر من منابر

السملمين، وكان يسبه وعَّاظهم وفقهاؤهم بعد كل صلاة، وإذا حاول بعض الفقهاء أن يتناسوا سبّ عليّ، يقول لهم الناس اذكروا سُنَّة معاوية. كان هدف معاوية من السب لعليّ والترحُّم على أبي بكر وعمر أن يضرب السنَّة بالشيعة بفتنة مذهبية، فكان أصحاب عليّ عندما يسمعون هذه العبارات، يردّون تحدياً انفعالياً بسبابٍ مثله، مما أدَّى إلى منازعات بين الطرفين، وظلَّ هذا التعصب الجاهلي يسبب سفك الدماء والتهجير في بلاد المسلمين حتى يومنا هذا، وبقي السبَّ لعلي حتى خلافة عمر بن عبد العزيز وقد ألغى هذه العادة، ولكن البعض ظلّوا يسبون حتى اليوم وهم لا يعلمون أن النبي قال: «من سب عليّ فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ الله ومن سبَّ الله أدخله نار جهنم خالداً فيه ولا عذاب[1] مقيم».

الأئمة والشهادة:

كُتبت على أهل البيت الشهادة، وقد احبها عليّ وردَّدها أولاده وأحفاده من بعده وقالوا:

«ما منَّا إلا شهيد ومقتول بالسيف أو بالسُّم».

مئة ألف نبيّ قُتلوا وأحد عشر إماماً استشهدوا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: 144].

الأضرحة والقباب المذهّبة:

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: 36].

صارت أضرحة الأئمة مساجداً وبيوتاً وقبباً مذهّبة لعروج الأدعية والإبتهالات والصلوات...

---

(1) الاحتجاج.

حظي أهل البيت بتكريم لم يحظَ به غيرهم فصارت مشاهدهم محجةً تهوي إليها قلوب المؤمنين من أقاصي الأرض، يوفون عهداً للنبيّ ﷺ فرضَه الله في قرآنه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى 23].

وقد نزلت فيهم آياتٍ واضحات:

- آية التطهير، وآية المباهلة، وآية الولاية، وآية المودَّة.

التقاتل بين المسلمين:

بدأ الرسول بتوحيد القبائل العربية، وقد جعل الله الإسلام ديناً للناس كلهم: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ لكن المسلمين تقاتلوا في عهد النبيّ ﷺ.

تخاصم المهاجرون والأنصار على الماء، وأصلح النبي بين الفريقين، بعد فتح مكّة بعث رسول الله ﷺ السرايا إلى ضواحي المدينة ومكة، يدعون إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بالقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد إلى تهامة، وكان بين خالد وبين بني جذيمة خلاف فقرَّر أن يثأر منهم، فلما رأوه أخذوا أسلحتهم فقال لهم خالد: ضعوا أسلحتكم فإن الناس قد أسلموا، ولما وضعوا السلاح، غدَرَ بهم فقتل الرجال وسبى النساء ونهب الأموال، ولمّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديهِ إلى السماء وقال: اللهمّ إني ابرأ إليك مما فعل خالد بن الوليد، قالها ثلاث مرات، ثم دعا عليّ بن أبي طالب وقال له: يا عليّ أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه المال فدفع ديّات الذين قتلوا، وعوَّض عليهم ما خسروا من أموال، حتى أنه كان يدفع ديَّة الكلب، وبذلك أكّد بأنهم مسلمون، لأن الديّة لا تدفع للمشركين.

في عهد أبي بكر قامت حروب الرِّدة...

ـ وفي عهد الإمام عليّ، تقاتل المسلمون، معارك ذهب ضحيتها آلاف الصحابة وكانوا يقتلون بعضهم بعضاً، كانت المعركة الأولى «حرب الجمل» وقعت بين الخليفة الشرعي الإمام علي عليه السلام وبين عائشة زوجة الرسول ومعها الصحابيان طلحة والزبير، وقد قُتلا في هذه المعركة، وقد ذهب في هذه الواقعة أكثر من 13 ألف قتيل بين الطرفين..

ثم معركة «صفين» وقد انقسم المسلمون إلى جيش العراق مع عليّ الخليفة الشرعي، وبين معاوية وجيش الشام يدعمه عمرو بن العاص.

ثم معركة «النهروان» بين الإمام علي والخوارج.

وبعد أن استشهد الإمام عليّ، جرى قتال بين الإمام الحسن ومعاوية.

وبعد موت معاوية، جرت معركة كربلاء بين جيش يزيد والإمام الحسين عليه السلام.

لم يستطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يمنع التقاتل بين المسلمين في حياته... وقد حصل القتال في عهد الخلفاء الراشدون وقد جرت أشرس المعارك بين الأمويين والعباسيين. واليوم هناك صراعات بين المسلمين، فردية وعنصرية ومذهبية يقودها رجال دين وسلاطين وأحزاب إسلامية، ولكن الوحدة الإسلامية ظلَّت أملاً وهدفاً.

وإلى كل من قتل مسلماً بريئاً أو سعى لقتله فإن حسابه يقع في قول الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

الفصل الثاني

النبي محمد ﷺ

النبي محمد ﷺ هو بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن هاشم، ابن عبد مناف، وينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم، أُمُّه آمنة بنت وهب، وقد توفيت وهو في السادسة من عمره ولد في مكّة في عام الفيل سنة 570م وتوفي سنة إحدى عشرة من الهجرة وهو في الثالثة والستين من عمره الشريف.

عاش مع جده عبد المطلب ثمان سنين، ثم كفِله عمهُ أبو طالب.

تزوج من خديجة وهو في الثلاثين من عمره، وقد أنجبت له القاسم وعبد الله وتوفيا وهما طفلان، ولم يبق له إلا فاطمة الزهراء عليها السلام.

المبعث:

بُعِثَ رسول الله لمَّا استكمل الأربعين من عمره الشريف وأول آية نزلت عليه عندما أتاه جبريل في الوادي القريب من جبل حِراء وقال له: اقرأ! فقال: ما أنا بقارىء، فقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ وعندما رجع إلى البيت، قال: «زملوني» فغطته خديجة وهنأته بالنبوّة.

ولما رأى الملك جبرائيل مرّةً ثانية ارتجف وقال «دثروني» فأنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر 1 ـ 2].

إعلان الإسلام

بعد ثلاث سنين من نزول الوحي، أمره الله تعالى بإظهار الدين ونزلت عليه الآية: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

وأول من آمن به خديجة وعليّ، وأول من دعا الناس به، قال لهم: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

الهجرة إلى الحبشة

لما اشتدت قريش في أذى رسول الله وأصحابه، أمرهم الرسول أن يخرجوا إلى الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب وكان معه سبعون رجلاً وامرأة، وقد طاردتهم قريش إلى الحبشة وبعثت عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص إلى ملك الحبشة، وطلبوا منه أن يردَّ المسلمين إلى مكّة، فقال جعفر للملك: ايها الملك إسألهم هل نحن عبيد أم أحرار؟ فقال عمرو: لا بل أحرار، قال: فسألهم ألَهُم علينا ديون يطالبونا بها؟ قال: ما لنا عليهم ديون، قال: ألهُم في أعناقنا دماء يثأرون من أجلها؟ قال عمرو: لا.

ثم التفت جعفر إلى النجاشي وصار يشرح له تعاليم الإسلام.

فقال: أمرنا الدين الجديد عبادة الله الواحد، والصلاة والزكاة، وحرَّم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حلِّها وأمرنا بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

سأل النجاشي عن مكانةِ المسيح وأمّهِ مريم في الإسلام، فقرأ جعفر له آيات من سورة مريم، فأقرَّ النجاشي تعاليم الإسلام، وقال: «ها هو الحق، وأبى أن يردَّ المسلمين إلى قريش، وظلّ المسلمون في الحبشة حتى تمَّ الصلح مع قريش في الحديبية.

أهل المدينة وبيعة العقبة:

ذهب رجلان من المدينة وهما من الخزرج، إلى مكّة وكان يريدان المساعدة من قريش ضد الأوس فسمعا بظهور النبي محمد ﷺ وسمعا له فأسلما وبايعاه وسَمّيت «العقبة الأولى»، وبعث الرسول معهما مصعب بن عمير فأصلح بين الأوس والخزرج ودعا أهل المدينة إلى الإسلام، فما بقي دار فيها إلا وفيهِ مسلم أو مسلمة، وكتب مصعب إلى النبيّ يخبره بأن الأوس والخزرج قد دخلوا الإسلام، فصار النبيّ يأمر اتباعه بالخروج والهجرة إلى المدينة خوفاً من أذى قريش.

بعد عام حجَّ سبعون رجلاً من الأوس والخزرج وقابلوا الرسول في مكة، وبايعوهُ قائلين: «دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك» وسمّيت هذه المبايعة «العقبة الثانية».

الهجرة إلى المدينة:

بقي الرسول في مكّة ثلاث عشرة سنة، وهو يدعو مشركي قريش إلى الإسلام وهم يؤذوه ويتآمروا عليه ليقتلوه، فأمره الله بالهجرة إلى المدينة بعد أن أسلم الكثير من أهلها ووعده الله عز وجل بالنصر. في هذه الأثناء اجتمع زعماء قريش في دار النُدوه وكانوا أربعين رجلاً، واتفقوا أن يجتمع من كل قبيلة رجل ومعهم واحد من بني هاشم، فيضربونه ضربة رجلٍ واحد، فيتفرَّق دمه في قبائل قريش كلها، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه.

نزل الوحي على محمد وأخبره بالمؤامرة. وقالت الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال: 30].

إتفق الرسول مع عليّ وقال له: نم الليلة في فراشي يا عليّ، وجاء الأربعون رجلاً من المشركين وأحاطوا ببيت النبيّ وفي أول الفجر وثبوا إليه

جميعاً يريدون قتله، فلما رأوا عليّاً وقد شهر سيفه في وجوههم تراجعوا وراحوا يطلبون محمداً في الجبال قرب مكّة، وعندما وصلوا إلى غار «ثور» وشاهدوا آثار أقدامه، وكانت العنكبوت قد نسجت خيوطها على باب الغار مما يدل على أن المكان لم يدخله أحد منذ مدَّة، فانصرفوا يبحثون في الشّعاب والجبال، ونزل الوحيَ على الرسول يقول له: لا تخف ولا تحزن وأنزل سكينته عليه، وعند دخوله المدينة استقبله الأنصار بالأهازيج وهم ينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

حروب النبي مع المشركين: أهمها:

- معركة «بدر» في السنة الثانية للهجرة.
- معركة «أُحد» بعد سنة واحدة من معركة بدر.
- «الخندق» أو الأحزاب: بعد معركة أحد بسنتين.
- «خيبر» وقد كانت ضد اليهود بعد أن نقضوا العهود وقد تم فتح حصن خيبر على يد علي بن أبي طالب.

بعد الخندق قال النبي لأصحابه: «لن يغزوكم المشركون بعد اليوم».

ثم كان يوم الفتح: يوم فتح مكّة في السنة الثامنة للهجرة في رمضان، وقد كان عدد أصحاب الرسول عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار.

فتح مكّة

بعد أن نقض المشركون العهد مع رسول الله ﷺ الذي أقرّوه في صلح الحديبية...

جهَّز الرسول جيشاً من المهاجرين والأنصار وقصد مكّة، وأتاه أبو سفيان معتذراً، بعد أن نكث العهد فصدَّه والتفَّت القبائل حول النبيّ واجتمع معه عشرة آلاف.

دخل رسول الله إلى مكّة، ووقف أمام باب الكعبة في كتيبته الخضراء يلبسون دروع الحديد لا يُرى منهم إلا حدقه العيون وقال: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخٍ كريم... قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء، ثم أمر بتكسير الأصنام وأخذ البيعة من الرجال والنساء.

بعد فتح مكَّة، أرسل النبيّ السرايا إلى ضواحي مكة يدعون الناس للإسلام ولم يأمرهم بقتال.

وفي السنة التاسعة للهجرة جاءت عشرات الوفود من القبائل العربية إلى المدينة تعرض إسلامها على النبيّ ﷺ.

وفي السنة العاشرة جاء وفد من أهل نجران النصارى إلى النبيّ وجادله في أمور الدين فكانت قضية «المباهلة».

وفي آخر السنة العاشرة كانت حجة الوداع وقد خطب الرسول في غدير خم حيث أوصى بالخلافة لعليّ: وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

وعندها اكتمل الدين، وقال عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة 3].

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة، عقد النبي لأسامه بن زيد أن يغزو

«يُبنى» من أرض فلسطين، وعندما كان الجيش يعسكر في «الجرف» مرض النبي مدة أربعة عشر يوماً، وتوفي يوم الاثنين في شهر ربيع الأول وله من العمر ثلاث وستون سنة.

فضل النبي

هو خاتم الرسل، وقد قرَنَ الله طاعته بطاعة محمد فقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ وكان لقبه قبل بعثته هو: «الصادق الأمين».

معجزة القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله، أنزله وحياً على محمد ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي تعهَّد الله بحفظه، فلا يتبدّل منه حرف أو كلمة أو آية، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

الفصل الثالث

فاطمة الزهراء عليها السلام

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولدت في مكّة في السنة التي بُعث فيها رسول الله وتزوجت من عليّ في رمضان في السنة الثانية للهجرة.

تعلّمت فاطمة القراءة والكتابة في شُعب أبي طالب، شهدت الوحي يتنزل على أبيها، حفظت الآيات وكتبتها وتلتها وسألت أباها عن معانيها وقد وعتها وصارت عالمةً بالقرآن وفقيهة آل محمد، نقلت تعاليم الإسلام إلى النساء المسلمات، وتعلمت الحلال والحرام وهي إبنة رسول الله، وسجَّلت في كتاب لها سُمّي «مصحف فاطمة» التعاليم والأحكام والأحاديث النبوية عن أباها الرسول، وكانت فاطمة تُكثر الدعاء، وتُعلِّم نساء المسلمين هذه الأدعية، ومن تلامذتها إبنتها زينب عليها السلام كانت تلميذةً ذكية حافظة مُحبَّة للمعرفة، وقد أخذت أحكام الصلاة والعبادات والطهارة للمرأة، وصارت مرجعية لنساء عصرها. وقد لُقبت بعقيلة بني هاشم، وكان يسألها أباها أمير المؤمنين: من أين لك هذا يا زينب؟

فتقول: أمي فاطمة علَّمتني.

وللسيدة فاطمة خطبة بليغة ألقتها على المهاجرين والأنصار بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي خطبة مشهورة عند المسلمين. في هذه الخطبة تحدثت فاطمة عن الغاية من الخلق والعبادات وعن التوحيد، والإنسان والكون وعِلل الشرائع، وتشهد لها هذه الخطبة بالبلاغة وبغزارة المفردات ومعرفة

أسرار اللغة العربية، كانت مفرداتها تنساب بالمعاني المعبِّرة، وقد وصفت وصفاً مثالياً للقرآن الكريم بمفردات متراصّة ومترادفة ومتجانسة، تُبيِّن الأهداف من هذه الخطبة وتُذكِّر الناس باتباع الحق ومناصرته.

خطبة فاطمة الزهراء كبيرة، ولكن سننقل مفطع صغير كنموذج تقول فيها في المقدمة:

- جعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك.
- والصلاة تنزيها لكم من الكِبر.
- والزكاة تزكيةً للنفس ونماءً في الرزق.
- والصيام تثبيتاً للإخلاص.
- والحج تشييداً للدين.
- والعدل تنسيقاً للقلوب.
- وطاعتنا أهل البيت نظاماً للملّة.
- وإمامتنا أماناً من الفرقة.
- والجهاد عزٌّ للإسلام.
- والصبر معونة على استجلاب الأجر.
- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة.
- وبرُّ الوالدين وقايةً من السَّخط.
- وصلة الأرحام منسأة (طول) العمر.
- والقصاص حقناً للدماء.
- حرّم عليكم الشرك إخلاصاً للربوبية.

وفي آخر الخطبة صارت تؤنبهم وتقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

لقد عرَّفت فاطمة عليها السلام بهذه الخطبة فضل أهل البيت وأهمية دور الإمامة، وبيَّنت تخاذل الصحابة وأخذت تُقرِّعهم، واتهمتهم باتباع الشيطان وإطفاء نور الدين، وإهمال سنن النبيّ صلى الله عليه وآله وتبديل الإسلام، فاحتجَّت عليهم وحاولت إيقاظ مشاعرهم وضمائرهم وهزَّت إسلامهم وعرضت مظلمتها في إرث فدَك، وفي ظلم عليّ وتلفيق الأحاديث المنسوبة إلى محمد صلى الله عليه وآله وقد أدَّت الزهراء ما عليها، وبلَّغت وأجابت على أسئلة كثيرة، واحتجت بآيات القرآن وقالت: هل كان أبي يخالف كتاب الله في قوله وورث سليمان داوود... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن فاطمة: «فاطمة سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أمتي، وسيدة نساء أهل الجنة».

وقال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أبغضني وقال: «إن الله يغضب لغضب فاطمة».

الفصل الرابع:

الإمام علي عليه السلام

هو علي بن أبي طالب، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصيّ، وهو إبن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولد في مكّة بالبيت الحرام (الكعبة) سنة 600م أمه فاطمة بنت أسد، يلتقي نسبها بنسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكنيته أبو الحسن.

نشأته:

يقول المؤرخون أن عليّ أول من أسلم، وقد نشأ منذ طفولته مرافقاً للنبي.

يحدثنا عليّ عن هذه المرحلة فيقول: «وضعني في حِجرهِ وأنا طفل يضمُّني إلى صدره، ويكنفني فراشه، ويمسّني جسده، ويشمني عرقه، ما وجد لي كذبةً في قول، ولا خطلةً في فعل، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم علَماً من أخلاقه ويأمرني بالاقتداء بهِ.

ولقد كان يجاور ويخلو بنفسه في جبل حراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما.

أرى نور الوحي والرسالة، واشم ريح النبوّة، لقد سمعت رنَّة

الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرّنة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبيّ ولكنك وزير».

كان عليّ الصبيّ يدفع أذى الصبيان عندما كانوا يرمون الرسول بالحجارة، فيوجعهم ضرباً مع صغر سنه، وقد ناصره منذ اليوم الأول من حياته.

وعندما حُوصِرَ بنو هاشم في شُعب أبي طالب، كان عليّ يحرسه ليلاً، وقد نام في فراشه عندما أرادت قريش قتل النبي ولحق به مع فاطمة عندما هاجر الرسول إلى المدينة.

تعلَّم القراءة والكتابة، وجوَّد الخط، وتحتفظ له بعض المتاحف في العالم بنصوصٍ كتبها عليّ بخطّه، وقد آزر النبيّ وهو في العاشرة من عمره، فأوكل إليه المهمات منذ صغره.

أقوال الرسول عن الإمام عليّ

- قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».
- وقال: «علي منّي، وأنا منه وإن الناس خُلقوا من أشجارٍ شتى وأنا وعليّ من شجرةٍ واحدة».
- وقال له: «أنت أخي ووصيي ووزيري وخليفتي من بعدي».
- وعندما آخى بين المهاجرين والأنصار قال لعليّ: «أنت أخي ترثني وأرثك».
- زوَّجه ابنته فاطمة فكان صهراً له.
- بات عليّ في فراش الرسول ليلة الهجرة.

- خرج مع الرسول يوم المباهلة مع فاطمة والحسن والحسين: تقول الآيـــة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ونفس محمد هي نفس عليّ.

- وقال الرسول عن عليّ: «**يا عليّ لا يحبك إلا مؤمن ولا يُبغضك إلا منافق**».

- وقال عنه يوم الخندق: «**ضربة عليّ لعمرو بن ود تعدِل أعمال الثقلين إلى يوم القيامة**».

قال رسول الله: «**يا علي**[1] **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيَّ بعدي**».

قال النبي يوم خيبر: «**لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرّار**».

تتجلى شجاعته في ظواهر كثيرة منها:

ما أدبر مرَّة ولا فرَّ في معركة قط، ففي معركة «أُحُد» ظلَّ يدافع عن النبي وقد فرَّ الجميع ومنهم كبار الصحابة وكان الرسول قد جُرح وكسرت رباعيته، وكان يدور حوله ويحرسه من كتائب الأعداء التي كانت تهاجم الرسول لتقتله، فيواجهها ويقاتلها حتى تنهزم، وظلَّ كذلك حتى هزمهم جميعاً، وفي تلك المعركة سُمع صوت من السماء ينادي: «لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار».

ومع كل هذه الشجاعة كان لا يلاحق مدبراً أو هارباً ولم يجهز على جريح، وكان يعفو عمَّن يستجير به، وقد استجار به عمرو بن العاص في صفين وكشف عن سوءته فعفا عنه..

---

(1) صحيح مسلم والبخاري.

وفي معركة خيبر، قاتل فرسان اليهود وقتل قائدهم وبطلهم مرحب، وقلع باب الحصن الذي يعجز أربعون من الرجال عن قلعه.

«نهج البلاغة»:

للإمام عليّ مجموعة من الخطب والحكم والرسائل التي أرسلها وقد جمعها الشريف الرضي من عشرات المصادر، ويُعدّ «نهج البلاغة» الكتاب الثاني في العربية، أتى بعد القرآن الكريم شهرةً ومكانةً وانتشاراً وقد قيل فيه: «كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق» وقد تربّى عليّ في حِجر النبي، وكان كاتب الوحي، يسمع الآيات التي يتلوها ويدوُّنها وقد منحه الله فكراً نيّراً فاض عطاءً في العلوم الإنسانية كلّها: المعارف الإلهية والغيبيات والأدب والفلسفة والحكمة والسياسة والقضاء وعلوم الفقه، والأخلاق وغيرها من العلوم، ولعلَّ قول الرسول: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» تفسّر هذا المستوى العلمي الذي يملكه عليّ(ع) وقد حوى نهج البلاغة زُبدة التجارب التي عاناها صاحبه وفيه مواقف واضحة اتخذها الإمام من المتخاذلين عن نصرة الحق، وقد زخر الكتاب بالمواعظ والحِكم الإنسانية الخالدة التي يفيد منها كل جيل من الناس، وفي جميع أنواع الحضارات.

بيعة الغدير:

خرج النبي ﷺ من المدينة في الأيام الأخيرة من ذي القعدة وكتب إلى عليّ أن يأتيه إلى مكّة وكان في اليمن وبعث الرسل إلى بلاد المسلمين لملاقاته إلى الحج، وقد سمّيت حجّة الوداع لأنها الأخيرة للرسول بعد فتح مكّة.

دخل الرسول ومعه عليّ وأصحابه إلى مكة، وخطب في مواقف عدَّة، يوم «التروية» ويوم «عرفة»، وفي «منى» خطب بالناس قائلاً:

«أيها الناس: لعلكم لا تلقوني على مثل حالي هذه بعد ا ليوم، ثم قال: أتدرون أي بلدٍ هذا؟ وأي شهرٍ هذا؟ وأي يومٍ هذا؟ فقال الناس: هذا البلدُ الحرام، والشهر الحرام، واليوم الحرام.

قال: فإن الله حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا وشهركم هذا ويومكم هذا! ألا هل بلَّغت؟ قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد، ثم قال: اتقوا الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها، الناس في الإسلام سواء، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، لا تأتوني بأنسابكم وآتوني بأعمالكم، ألا هل بلَّغت؟

ثم قال: كل دمٍ في الجاهلية موضوع تحت قدميّ، وكل رِباً في الجاهلية موضوع تحت قدمي، أوصيكم بالنساء خيراً، فقد أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله، ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق.

إن المسلم أخو المسلم، لا يغشُّه، ولا يخونه، ولا يغتابه، ولا يحلّ له دمه، ولا ماله.

إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بعد اليوم، ولكن يُطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون، فقد رضي به، ألا هل بلَّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللهم فاشهد!

ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفَّاراً مضلِّين يضرب بعضكم رقاب بعض، «وإني قد خلَّفت فيكم ما إن تمسَّكتم به، لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنكم مسؤولون، فليبلغ الشاهد منكم الغائب». . .

ثم ودَّع ولم يرجع إلى مكة، وقيل له: لو نزلتَ يا رسول الله بعض منازلك في مكّة، فقال: «ما كنت لأنزل بلداً أُخرجت منه» ثم توجّه إلى

المدينة والحجيج معه، صار على موضع بالقرب من الجحفة، يقال له «غدير خم» في الثامن عشر من ذي الحجَّة، وقبل أن يفترق شمل الحجيج كلٌّ إلى بلده، نزل الوحي ليكمل آخر تبليغ في الرسالة، ليعيّن، خليفة للمسلمين بعد النبي حتى لا يضلوا أبداً.

في يوم قائظٍ شديد الحر، أمر النبي مُناديهِ فنادى بالصلاة، واجتمع الناس، فخطب فيهم وقال:

«إني قد دُعيت ويوشَكُ أن أجيب داعيَ ربي وإني مخلِّف فيكم ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثما نادى بأعلى صوته: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى، ثم أخذ بيد عليّ ورفعها حتى بان بياض إبطهِ وقال:

«من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خدله..».

ثم أتى المسلمون فوجاً فوجاً بايعوا عليّ وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، وقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا عليّ أصبحت مولى كلَّ مؤمنٍ ومؤمنة.

بعد التبليغ والمبايعة لعليّ، نزلت الآية تقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

الإمامة هي آخر ما بلَّغ به النبيّ، إمامة عليّ وخلافته على الناس.

الفصل الخامس:

الإمام الحسن عليه السلام

الإمام الحسن هو أكبر أولاد الإمام عليّ بن ابي طالب، وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام وهو الإمام الثاني من الأئمة الإثني عشر، والسبط الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنَّة وُلد بالمدينة في رمضان في السنة الثالثة للهجرة. كان الحسن أشبه الناس برسول الله خلقاً وخُلُقاً وقد لُقِّب بالمجتبى.

توفي الحسن في صفَر في السنة الخمسين للهجرة وله من العمر سبع وأربعون سنة، وكان معاوية قد وعد جعدة بنت الأشعث وهي زوجة الحسن بعشرة آلاف دينار وبأن يزوجها من ابنه يزيد ففعلت ودسَّت له السُّم في اللبن.

قال عنه رسول الله وعن أخيه الحسين:

- «إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا».

تربّى الحسن في حِجر جدِّه رسول الله، ورضِع أخلاق النبوَّة، عندما كان طفلاً أراد أن يلعب فاعتلى ظهر جده محمد وهو يصلي جماعةً في المسجد، وقد أطال الرسول سجوده إكراماً لحفيده الحسن، وقد رأى المسلمون المصلّون هذا المشهد وقد ذكرته كتب التاريخ بمعظمها.

الإمام الحسن والخلافة:

بعد وفاة أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) خطب الإمام الحسن في الناس وقال:

«لقد قُبض هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ فيقيهِ بنفسه وكان حيثما يوجِّه رايته يكتنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ما خلَّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يأتي بها خادماً لأهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم أكمل الحسن خطبته وبيَّن فضل أمير المؤمنين عليّ ودوره الجهادي وإنجازاته في الفتوحات الأولى التي رسَّخت قدم الإسلام في الجزيرة العربية مانعاً قريش من قتل النبيّ وقد وقاه بنفسه بعد أن انتهى الحسن من خطبته، قام ابن عباس فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وبايعوه وذلك في يوم الجمعة في الحادي عشر من رمضان في السنة الأربعين للهجرة.

أقرَّ الحسن الأمراء والولاة الذين كانوا في عهد أبيه عليّ عليه السلام ورتَّب العمال، وانفذ عبد الله ابن عباس إلى البصرة، وصار ينظر في الأمور ولما وصلت أنباء بيعة الإمام الحسن إلى معاوية، أرسل رجلين ليكتبان له بالأخبار، لكن أنصار الحسن كشفوا أمرهما وحاكمهما الإمام وأمر بقتلهما بتهمة الجاسوسية ضد المؤمنين.

وكتب الحسن إلى معاوية يقول: «أما بعد فقد دسست إليَّ الرجال للاحتيال والإغتيال وأرصدت العيون».

كان الإمام الحسن قد علم بأن معاوية فرح وشمت بقتل الإمام عليّ وأنه يستعد للمواجهة العسكرية من جديد.

ثم يتابع الإمام الحسن في رسالته لمعاوية، ويقول له بأن لا يتمادى في الباطل، وأن يدخل كما دخل الناس، وأن يحقن دماء المسلمين وذكَّر الإمام الحسن معاوية بتاريخه العدائي للرسول مع أبيه أبو سفيان الذي قاد الحملات لمحاربة المسلمين في المعارك كلها، وظلّ عدوّاً ظاهراً بعداوته إلى يوم فتح مكّة، ودعا الإمام الحسن معاوية إلى البيعة.

وأعلن متوعداً قائلاً:

«إن أبيت إلا التمادي في الغيّ: نهضت إليك بالمسلمين حتى يحكم الله والله خير الحاكمين». وقد بيّن الإمام الحسن لمعاوية بالحجَّة البالغة بأنه إذا كان الحق لقريش بالخلافة، فأهل البيت أولى به لأنهم أوصياؤه بالوحي، ولكن قريش ظلمتهم واغتصب حقهم.

بعد أن قرأ معاوية كتاب الحسن. كتب إلى عمّاله يدعوهم إلى تجهيز الجند والمسير إلى دمشق، ومما قاله لهم في هذه الرسالة:

إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن ابي طالب رجلاً من عباده فاغتاله وقتله، وترك أصحابه متفرقين، وقد جاءت زعماء العشائر يطلبون الأمان. ولما بلغ الخبر الإمام الحسن، بعث حجر بن عدي إلى الناس للتهيؤ للمسير وخطب فيهم وقال: «إن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاهُ كرها، وإنكم لن تنالوا ما تحسبون إلا بالصبر على ما تكرهون واستنفر الناس للجهاد، ولكنهم تثاقلوا، وبقي معه جيش مفكك الأوصال، متناقض الأهداف، وسار بهم، واختار الحسن القادة المخلصين وأوصاهم بالرحمة واللين في تعاملهم مع الناس، في حين كان معاوية يضرب عنق من تخلَّف وكان الحجَّاج المشهور بقسوته وظلمه، وقد كلّفه معاوية بسوق الناس بالسوط، وإن تلكأوا ذبحَهم

بالسيف، ثم صار معاوية يُغري أصحاب الحسن بالمال فكتب إلى عبيد الله ابن العباس، ووعده بإعطائه مبلغاً كبيراً من المال (مليون درهم) فانسلّ عبيد الله ليلاً ودخل في عسكر معاوية، مع أن معاوية كان قد أرسل يسر بن أرطأة إلى اليمن وقتل طفلين لعبيد الله عندما كان عاملاً على اليمن من قبل عليّ عليه السلام.

بعد ذلك أشاع معاوية أن الحسن قد صالح وأن عبيد الله ابن العباس قد بايع معاوية، فعلام تقتلون أنفسكم؟

هذه الإشاعات أثارت الفوضى في جيش الإمام الحسن، وقد أغرى معاوية رؤساء القبائل، فكتبوا له بالطاعة في السرّ، وضمنوا له تسليم الحسن عندما يدنو عسكره منهم، وقد بلغ ذلك الحسن، فدعا الناس، وصلّى بهم ثم خطب فيهم وقال:

«أما بعد فوالله إني لأرجو أن أكون أنصح خلق الله لخلقه، لا أحتمل على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، وإني ناظر لكم خيراً لأنفسكم فلا تخالفوا أمري، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا ظن البعض في جيشه أنه يريد الصلح مع معاوية فقالوا: كفرَ الرجل وهاجموا خيمته وطعنه أحدهم في فخذه، ودافع عن نفسه مع أصحابه الخلّص، وحُمل إلى المدائن ليعالج جرحه.

هذه الأحداث كشفت خذلان القوم له، ولم يبق معه إلا الخاصّة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين، وهم قلَّة لا يستطيعيون مقابلة جيش الشام.

استغلَّ معاوية هذه الأحداث وكتب إلى الحسن يدعوه للصلح مع قبول شروط الحسن.

اشترط الحسن على معاوية: ترك سبّ أمير المؤمنين عليّ على

المنابر، وأن يؤمِّن شيعته ولا يتعرَّض لأحد بسوء، وأن يعطي كل ذي حق حقه، فأجابه معاوية إلى ذلك كلّه وعاهده عليه وحلَف له بالوفاء فلما أُعلنت الهدنة، قام معاوية خطيباً بالناس وقال لهم:

«إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا، فأنتم تفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمرَّ عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون».

الا وإنيَ كنت مَّنيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدميّ، لا أفي بشيءٍ منها له، ثم قال: ما اختلفت أمَّة بعد نبيّها إلا ظهر لأهل باطلها على أهل حقها... ثم انتبه فتلجلج لسانه، وقد أصغى المؤمنون إلى خطاب ابن هند الذي قاتلهم ليتأمَر عليهم ثم غدَرَ بهم.

فقام أحدهم وقال للإمام الحسن: سلَّمت الأمر إلى اللعين بن اللعين ابن آكلة الأكباد.

قال الإمام الحسن: «إني رأيت الناس قد تركوا الجهاد إلا قلَّة منهم، خشيت أن تُجتثَّ هذه القلَّة عن وجه الأرض، ولا يبق فيها ناعٍ أو داعٍ للدّين!

تابع معاوية غدره وخطب في الناس: فذكَر عليّاً ونال من الحسن، فقام الحسين ليردَّ عليه، فأخذه الحسن وأجلسه ثم قام فقال:

«أيها الذاكر عليّاً أنا الحسن وأبي عليّ وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدّي رسول الله، وجدُّك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيله وكانت «بغيّ» ولها راية تعرف بها، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسّبا وأقدمنا كفراً ونفاقاً» فردَّد المؤمنون في المسجد آمين وقال ناقل الرواية آمين وهو «يحي بن معين» وقال أبو الفرج الأصفهاني آمين.

قضى الإمام الحسن في الخلافة سبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وعاد بعد الصلح إلى المدينة مع أخيه الحسين وبنو هاشم يدافعون عن المسلمين المؤمنين، ضد الصغاة والولاة. وبعد عشر سنين من الصلح، شعر معاوية بدنوّ أجله، فعزم على البيعة لابنه يزيد، وصار يتخلَّص ممن قد يقفون في وجه يزيد، فدسّ السُّم إلى الإمام الحسن وإلى سعد بن أبي وقاص ظلَّ الإمام الحسن يصارع السُّم أربعين يوماً ولما حضرته الوفاة، استدعى أخيه الحسين فقال له: «يا أخي إني مفارقك ولاحِقٌ بربي عز وجل، وإني عارفٌ بمن سقاني السم... وإني أخاصمه إلى الله تعالى فإذا قضيت غسّلني وكفِّني واحملني على سريري إلى قبر جدَّتي فاطمة بنت أسد وادفني هناك.

ولما قضى الحسن، حمله بنو هاشم إلى ضريح جدّه، فجاء مروان بن الحكم عدوّ رسول الله ﷺ ومعه بني أميّة يحملون السلاح، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: «مالي ولكم تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أحبّ». وصار مروان يهدّد ويتوعد ويُهيّج الناس ويقول:

أيدفن عثمان في أقصى المدينة، ويدفن الحسن مع النبيّ؟ لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف.. وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني أميّة، فبادر عبد الله بن عباس لوأد الفتنة وقال لمروان بن الحكم: إرجع يا مروان من حيث جئت فإنا لا نريد أن ندفن الحسن عند جدّه رسول الله، ولكن نريد أن نجدِّد العهد بزيارة قبر الرسول، ثم نردُّه إلى جدته فاطمة بنت أسد فندفنه عندها وهو قد وصّى بذلك، ولو وصّى أن يدفن مع النبيّ لعلمتَ أنك أقصرُ باعاً من ردِّنا عن ذلك، ولكن الحسن أعلم بالله ورسوله وبحرمةِ قبره أن يتعرض للهدم. كما فعل غيره ودخل بيته بغير إذنه، ثم أقبل ابن عباس على عائشة وقال لها:

«وسؤتاه! يوم على جمل ويوم على بغل تريدين أن تطفئي نور الله، وتقاتلين أولياء الله إرجعي فقد كُفيتِ الذي تخافين... وبلغتِ ما تحبين... والله تعالى منتصر لأهل البيت ولو بعد حين».

وفي رواية قال لها ابن عبّاس:

تجمَّلت تبغلتِ ولو عشتِ تفيَّلتِ

لك الثمنُ من التسعِ وفي الكلِّ تملَّكتِ

ثم مضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد.

كانت وفاته في 28 صفر، في السنة الخمسين للهجرة وله من العمر سبع وأربعون سنة.

ما هي العوامل التي أدّت إلى صلح الحسن مع معاوية؟

أثيرت بعض الشبهات حول قضية صلح الحسن مع معاوية.

قالوا: لماذا صالح الحسن؟ ولماذا ثار الحسين؟

وقد أجاب الحسين عن هذا السؤال:

قال: «دخلت على أخي الحسن أعاتبه لماذا صالحتَ معاوية وتخلَّيت عن حقك؟

أجابني: الأسباب نفسها التي حملت أباك عليّ للسكوت عن حقه في الخلافة، فخرج الإمام الحسين وقال لهم: دخلت على إمام أعلِّمهُ... فعلَّمني.

كانت عند الإمام الحسن معطيات دينية ودنيوية وإنسانية حملته على الصلح.

لو استمر الإمام الحسن في الحرب مع خيانة جيشه لقُتِل الحسن والحسين والقلة المؤمنة التي كانت معهم... ولما كانت «كربلاء».

الحسن إمام، سواء نال الخلافة الزمنية أو لم ينلها، والحكم ناله طغاة العالم، النمرود والفراعنة واباطرة الرومان والفرس، ولكنهم ما كانوا يوماً أنبياء أو أئمة.

لقد نال عليّ الخلافة وقضى فيها أربع سنوات كلّها فتن وحروب، وقد جرت عليه الصراعات والمرارات، ولكنه أقام دولة العدل الفريدة بعد دولة الرسول.

الأنبياء رفضتهم شعوبهم وأنكرت رسالتهم الإلهية وقتلتهم، وكذلك الأئمة!

لقد انتزع خصومهم المُلك ولكن لم ينتزعوا الإمامة والعصمة.

اراد عليّ وأبناؤه أن يحكموا الناس بمبادىء الإسلام ولكن المجتمع الإسلامي يومها لم يكن مؤهلاً للحكم الديمقراطي، وحتى اليوم ما صار مؤهلاً.

أهل البيت حكموا بالشريعة الإسلامية كما يريدها الله لا كما يريدها الناس.

صُلح الحسن مهَّد لثورة الحسين، لأن الناس شاهدوا وعاشوا خيانة معاوية، وأيقنوا أن الأمويين لا يلتزمون بمبادىء الإسلام.

حصل حوار بين معاوية والحسن بن عليّ:

قال: معاوية للحسن: أنا خير منك، فقال الإمام: وكيف ذاك يا بن هند؟

قال معاوية: لأن الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك.

قال الحسن: هيهات، هيهات! لشرَّ ما علوتَ يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان، مطيع ومكرَه، فالطائع لك عاصٍ لله والمكرَهِ معذور بكتاب الله، وحاشى لله أن أقول أنا خير منك فلا خير فيك، ولكن الله برّأني من الرذائل، كما برَّأك من الفضائل.

مناظرة الإمام الحسن عليه السلام مع زعماء قريش بعد الصلح:

اجتمع زعماء قريش عند معاوية، وقالوا له: «إحضر الحسن بن عليّ لنقارعه بعد أن انتصرنا عليه وصغرّنا قدرهُ وقدر أبيه».

وكان معاوية قد ذهب إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الخليفة والملِك، واجتمع إليه: عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة ابن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، والمغيرة بن شعبة.

استدعى معاوية الحسن، ولبّى الحسن الدعوة بكل شجاعة قائلاً لمعاوية: إني مع وحدتي، فهم أوحش مني في جمعهم، وإن وليّ الله اليوم وفي كل يوم فمرهم ليقولوا فاسمع، ثم قال:

بك أبداً يا معاوية، فاسمعوا مني أيها المجتمعون عليّ! أنتم تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه (عليّ) صلّى القبلتين وأنت يا معاوية تعبد اللّات والعُزّى، وبايع البيعتين، بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية كافر ناكث.

يوم بدر كانت راية المؤمنين مع عليّ وراية المشركين مع معاوية وأبيه، ويوم أحُد كانت معه راية النبيّ، ومعك يا معاوية راية المشركين وكذلك في معركة الأحزاب، وحنين، وخيبر.

ثم أقسم الإمام الحسن، وقال له: ما اسلم قلبك يا معاوية بعد، ولكن اللسان خائف بما ليس هو في القلب».

ثم ذَكَر أحاديث النبي في الإمام عليّ وقال لهم: أما قال رسول الله: «من سب علياً فقد سبّني ومن سبَّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أدخله في نار جهنم مخلداً فيها وله عذاب مقيم».

ثم قال: أنت تعلم يا معاوية أن رسول الله لعن أبا سفيان ولعنك معه في سبعة مواطن، منها يوم الأحزاب عندما كنت تسوق بأبيك الجمل

الأحمر يقوده أخاك عتبة هذا القاعد هنا، فقال رسول الله: «لعن الله القائد والراكب والسائق».

وكان أبوك الراكب وأنت السائق وأخوك القائد!

وأنت تعلم أن أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله، فقال:

تداولوا الخلافة يا بني أميَّة واعلموا أنه ما من جنَّةٍ ولا نار.

وتابع الحسن يقول لعمرو بن عثمان: إنما مثلك مثل البعوضةِ إذ قالت للنخلة استمسكي فإني اريد أن أنزل عنك، فقالت لها النخلة ما شعرت بوقوفك فكيف يشق عليّ نزولك، وإني والله ما شعرت أنك تجسر أن تعاديني فيشق عليّ ذلك...

وقال لعمرو بن العاص: أنت ابن الشانيء اللعين الأبتر أمك بغيّ وقد وُلِدتَ على فراش مشترك فتحاكمت بك رجال قريش ومنهم أبو سفيان بن حرب، وكان العاص بن وائل قد قال: إن محمداً رجل أبتر لا ولد له فلو مات ا نقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].

وقد كنتَ في كل مشهد يشهده رسول الله مع عدّوه بل أشدهم عداوة وتكذيباً، وقد كنتَ في السفينة الذين ذهبو إلى النجاشي وحرَّضوه على المهاجرين إلى الحبشة.

وقد هجوتَ رسول الله بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله: «اللهم إني لا أُحسن الشعر ولا ينبغي أن أقوله فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة».

أما أنت يا مغيرة بن شعبة فإنك عدوّ الله ولكتابهِ ولنبيهِ مكذِّب،

وقولك أنكم ملكتم فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة، وموسى وهارون نبيّان مرسلان يلقيان الأذى، إن المُلك يعطيه الله للبرِّ والفاجر.

ثم دخل مروان وأراد أن يخوض المناظرة ويسبّ الإمام الحسن، فقال الإمام الحسن:

أما أنت يا مروان فلست أسبُّك ولا أسبُّ أباك فقد لعنك الله ولعن أباك وأهل بيتك وذريتك وإن رسول الله قد لعن أباك وطرده، وقد صدق الله ورسوله عندما قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا﴾ [الإسراء: 60].

أنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن وهذا ما أخبر به رسول الله عن جبرائيل عن الله إن الذين ناظروا الحسن هم من عادوا رسول الله وحاربوه، ثم نزوا على الأمة الإسلامية وحكموها باسم الإسلام، ولكن تاريخهم المليء بالعار والنفاق والكفر كشفه الإمام الحسن وأما الناس فظلّوا يعبدون الدرهم والدينار.

لقد قاتل الإمام عليّ لوجود الناصر، ولكن المسلمين تفرَّقوا بعده إلى فرق جديدة، فكان الخوارج ثمرة حرب صفّين والتحكيم، وقد عمل معاوية على هذه التفرقة، بالحرب والغدر والدهاء، ودفع الأموال.

فهذا عبيد الله بن العباس وقد قتل يسر بن ارطأة ولديه وهما طفلين بأوامر من معاوية، وقد ظنَّ الإمام الحسن بأن عبيد الله وهو ابن عمه العباس أنه سيتفانى في الدفاع عن أهل البيت، ويكون شديد الحرص للثأر لطفليه ولكن عبيد الله، باع نفسه لمعاوية بالدراهم وانقلب على قائده وإمامه الحسن، وتخاذل العراقيون عن نصرة إمامهم، لأن المجتمع العراقي كان يتألف من قبائل متناحرة غير متجانسة فيهم الصالح وفيهم الطالح وكان غالب عليهم الشُّذاذ.

وأما مجتمع الشام فكان لا يعلم شيئاً عن الإسلام ولكنه جيش منظّم بتأثير من الحضارة التي كانت سائده، الرومانية والبيزنطية، وكانوا يعرفون معنى الدولة وكان الجيش يتألف من قائد وجندي يلتزم الأوامر.

أما القبائل العراقية فكانت تتصرف بعصبية القبيلة وتخضع للدينار وللسوط.

ولكن أئمة أ هل البيت لم يستعلموا الدينار ولا السوط مع جماعات كانت تعبد المصلحة ولا تؤخذ إلا بالشدّة.

لقد عرف دواءهم، زياد بن ابيه وابنه اللعين عبيد الله بن زياد، والحجَّاج الذي أذلهم بسياطه وضرب أعناقهم بالسيوف، وكان يجمعهم في المسجد ويشتمهم ويقول لهم: «يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق.

هذا الجمهور من الناس كيف يدافع عن الحسن ويقف إلى جانبه، قد سلَّموه لأعدائه ونهبوا البساط من تحت قدميه، وضربوه بالسيف مقابل دراهم من معاوية.

فرضوا عليه الصلح لأنهم تخلّوا عنه ووضعوه في مواجهة عدوِّه بلا جيش ولا قوّة. وهو لم يخاف على نفسه بل خاف على المؤمنين وصالح حتى لا تُراق دماء هذه القلَّة المؤمنة.

الإمام الحسين عليه السلام

الحسين هو ابن عليّ بن أبي طالب، وهو الإمام الثالث، أمُّه فاطمة الزهراء، بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد في المدينة في السنة الرابعة للهجرة، عاش مع جده رسول الله سبع سنين، ومع أبيه الإمام عليّ ثلاثين عاماً، ومع أخيه الحسن سبعاً وأربعين عاماً، وكانت مدَّة إمامته عشر سنوات.

استشهد يوم العاشر من محرم (عاشوراء) في السنة إحدى وستين للهجرة في كربلاء العراق.

تربَّى الحسين مع أخيه الحسن في رعاية جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيهما أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأمهما فاطمة الزهراء بنت الرسول عليها السلام كانا يرافقا جدّهما إلى المسجد وقد تعلما القراءة والكتابة والقرآن، وتعلَّما فقه العبادات من جدهما وأبيهما، وعلَّما رجال المسلمين أحكام الدين بخلقية أسباط الوحي.

الحديث النبوي عن الحسن والحسين:

قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

- «حسين منّي وأنا من حسين».
- «من أبغض حسيناً فقد أبغضني».
- «الحسن والحسين ريحنتاي من هذه الدنيا».
- «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

- «الحسن والحسين سبطان من الأسباط».
- «الحسن والحسين إماماً قاما أو قعدا».

روى ابن عساكر بطرق مختلفة:

«كان رسول الله يصلي في المسجد، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا منعوهما أشار إليهم: أن دعوهما فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره ثم قال: من أحبني فليحب هذين».

ذات مرَّة رآهما عمر بن الخطاب على عاتقي النبيﷺ فقال لهما: «نعم الفرس تحتكما، فقال النبي: «نعم الفارسان هما».

كربلاء:

استطاع معاوية بعد استشهاد الإمام عليّ، أن يلغي قدسية الإمام عليّ وهو ابن عم الرسول ووصيه وخليفته من بعده، فرض معاوية سب الإمام على المنابر، وصار يسبُّه فقهاء المسلمون الأمويون على سبعين ألف منبر من بلاد المسلمين، وهم يعلمون من هو عليّ، ويعلمون الأحاديث النبوية عنه. ثم بعد ذلك نقض معاوية معاهدة الصلح مع الإمام الحسن وقتل أصحاب الرسول المؤيدين لعليّ.

وقد ذكر العشرات من المؤرخين أن معاوية هو الذي أعاد راية الجاهلية.

وبعد أن مات معاوية، وخلفه ابنه يزيد أكملَ طريق الرِدّة وتجرأ على الله ورسوله وقتل سيد شباب أهل الجنة سبط النبي وريحانته، بعد أن تحوّلت الخلافة إلى دولة قيصرية وكسروية وفرعونية وأُلغي الإسلام وتعاليمه.

لمّا قتل الحسين وجاؤا برأسه الشريف إلى الشام وضعه يزيد أمامه وصار ينشد:

ليت أشياخي ببدرٍ شهِدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

أي أن الخلافة هي ملكاً دنيوياً لعبت به هاشم وقد استرده الأمويون.

لخَّص المقريزي أعمال الأمويين بالقول:

«هدموا الكعبة وجعلوا الرسول دون الخليفة ومنهم من شرب الخمر على منبر رسول الله».

ويقول ابن سعد في طبقاته، والذهبي في سيَر الأعلام النبلاء، وعباس محمود العقاد في كتابه «أبو الشهداء» والعلايلي في كتابه «الإمام الحسين» عن عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة) يقول:

«والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من للسماء إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدَعُ الصلاة والله لو لم يكن معي أحد لأبليتُ الله فيه بلاءً حسناً».

وما زال بعض المسلمين المنافقين يبرّرون ليزيد ومعاوية أفعالهم، ويتهمون الحسين بخروجه للإصلاح في أمة جده.

ثورة الحسين عليه السلام:

بعد ثورة الحسين والشهادة العظمى في كربلاء للأهل والأصحاب، إستعاد الإسلام بعضاً من صفاته وتعاليمه ولو لقلَّة قليلة من ا لمسلمين: (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الواقعة . 13

لقد زرع الحسين جسده وأطفاله وأصحابه في بلاد المسلمين منارات تتوقد مهداة للمسلمين.

أربعة عشر قرناً مضت وعاشوراء تتجدد تراثاً من التاريخ.

روايات وحكايات وشعر وأدب ودموع وتأوهات تجَّمعت مكوِّنة بحراً زاخراً فيه الحياة، في حركاته تروي حكاية الحسين في كربلاء، إعجاب ومشاركة، انتقادات ومقاطعة، ترغيب في الذكرى، وترهيب لها ولذكراها التعذيب وقطع الأيدي للزائرين. ولكن ما زالت العيون تبكي جداول من دماء يسقط الطغاة: عمر بن سعد، وعبيد الله ابن زياد، وألف يزيد ومتوكل، وتظل ثورة الحسين تضيء وتتلألأ بدم الشهادة.

أصبحت شهادة الحسين رمزاً لكل شهيد يزرع دمه من أجل العدل انتصاراً للمظلومين.

السيرة الحسينية

الروايات التي تناولت ثورة الإمام الحسين خلال أربعة عشر قرناً، تحتاج إلى ثورة نقدية.

لقد أباح الرواة والخطباء وقرّاء المجالس لأنفسهم التفنُّن والإضافات لإثارة العواطف واستدرار الدموع. ما قام الحسين بنهضة من أجل البكاء، وإنما إقامة مجالس لتحصين الإسلام من الانحرافات وهذا لا يمنع أن تهطل الدموع وفاءً لدماء سُفكت، قرباناً في كربلاء، ومواساةً لنبيٍّ بكى سبطه الحسين بإخبارٍ من الغيب عن الفجيعة التي ستحلّ بمن قال عنه: «حسين مني وأنا من حسين أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً».

إن الدمعة الحسينية مع دفئها وحنانها تحتاج إلى الدِّقة بتتبع الجذور الدينية التي نمت عليها.

ليس من العدل أن تتحوَّل المآتم الحسينية إلى بكاء فحسب ويغيب عنها التوجيه الاجتماعي والتربية القرآنية وبثّ الروح الجهادية في نفوس الأجيال، وليس من العدل أيضاً أن تجفّ المآتم الحسينية ولا تبلُّلها الدموع.

عين آلمها مصاب الحسين:

أحاديث كثيرة صحيحة عن أنس بن مالك، وعن عائشة وأم سلمة وعلي بن أبي طالب وغيرهم بأن رسول الله بكى على مصرع الحسين، بعد أن أعلمه جبرائيل عن تلك الفاجعة، وكانت عيناه تفيض بالدموع كلّما رأى الحسين وتذكَّر استشهاده روى ابن عساكر بسنده عن عائشة أنها قالت: «كان رسول الله راقد إذ جاء الحسين يحبو إليه فنحيته عنه، ثم قمت لبعض أمري، فدنا منه فاستيقظ رسول الله وهو يبكي، فقلت ما يبكيك؟

قال: إن جبرائيل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين وقد اشتد غضب الله على من يسفِك دمه، قالت: بسط النبيّ يده فإذا فيها قبضة من بطحاء وقال: يا عائشة والذي نفسي بيده إنه ليحزنني مصاب الحسين».

أكّدت الأخبار بكاء الرسول وعلي وفاطمة:

هذا البكاء والحسين ما زال طفلاً يستقبل الحياة، يبتسم ويلهو ويلعب، له مدلولات تُشرِّع البكاء الحسيني، وهو أوَّل مأتم أقيم للحسين، أعلنه النبيّ وحضَرته النخبة محمد وعليّ وفاطمة وجبرائيل، وبعد مصرع الحسين تمثّل البكاء في سيرة الأئمة المعصومين عملاً وقولاً فقد أقاموا المجالس الحسينية وذرفوا الدموع بلوعةٍ، وحضّوا شيعتهم على إحياء الذكرى وأجازوا البكاء.

قال الإمام الرضا: «**على مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإن البكاء عليه يَحِطّ الذنوب العظام**».

إن السيرة الحسينية المتصلة بالوحي والنبوّة نسباً ونشأة، تحوَّل الواقع فيها إلى أسطورة، والبطولات إلى خوارق، وامتزجت الكرامات بالمعجزات، لأن المعجزة تختص بالنبوّة، وقد اختصَّت الكرامات بالإمامة، وقد نال الحسين الكرامات بإخلاصه وعبادته وتضحياته.

إن الكرامات الحسينية بدأت مع الولادة، وكبُرت مع النشأة، والثورة والشهادة، ثم استمرَّت بعد الممات.

لقد كتب التاريخ منقولاً عن النبيّ وعن عليّ وآل البيت والصحابة ومعظم المؤرخين الذين كتبوا تاريخنا ذكروا ونقلوا كرامات رواها شهود صادقون.

ذكر الطبري وابن الأثير عن «النوار ابنة مالك الحضرمية» أن زوجها الذي حمل رأس الحسين إلى الكوفة قال لها: «لقد أتيتك بغنى الدهر» هذا رأس الحسين عندك فقالت: «ويلك أتيت برأس ابن رسول الله! لا والله، لا يجمع رأسي ورأسك بيت واحد، ثم قالت: فوالله، ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الرأس، ورأيت طيوراً بيضاء ترفرف[1] حوله».

لماذا نستغرب وننكر والله تعالى يقول عن أوليائه: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾. ويقول سبحانه عن الشهداء: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [التحريم: 8].

قراءة جديدة للتاريخ (العلايلي)

عندما كتب عبد الله العلايلي عن الإمام الحسين، أذهلته التناقضات في التاريخ الإسلامي، فتناول بعض الأحداث التاريخية بتجرد وموضوعية وجرأة وأشار في كتابه «الإمام الحسين» إلى المبادىء التالية:

1 ـ المرحلة الأولى من مراحل تاريخ الإسلام يلفها الغموض، والمؤرخين المحدثين لم يدرسوا النصوص التاريخية ولم يحقّقوا ويصحّحوا في الأسانيد للروايات.

---

(1) تاريخ الطبري، الكامل لابن الأثير.

2 ـ إن كتابة التاريخ لم تكن بريئة، بل دارت على خدمة أغراض شتى، لذلك باتت إعادة النظر في التاريخ الإسلامي مطلباً ضرورياً وملحاً.

3 ـ إن دراسة ثورة الحسين تتطلب البحث في كل عناصر التاريخ الإسلامي وبعده، والصراعات القبلية المتجذِّرة التي ناهضت الإسلام وتعاليم القرآن.

4 ـ التفريق بين الخلافة والملك، لأن الأمويون كانوا ملوكاً وليسوا بخلفاء، وكان العلايلي يقول: (الملك الأموي).

5 ـ كان الخلاف بين عليّ ومعاوية ليس شخصياً، بل هو صراع بين مبادىء، بين الخلافة والإمامة، وبين الملك.

6 ـ في عهد الأمويين لا وجود للقضاء بالمعنى الحديث، لأن القتل كان على الظن، وقد تخلّى معاوية عن النظام الإسلامي الذي بدأ مع النبيّ واستمرَّ في عهد الخلفاء الراشدين، وكان يقتبس النظام البيزنطي.

7 ـ لقد خطّط معاوية لسب الخلفاء الراشدين وصولاً إلى النبي والخالق، ليضرب العقيدة الإسلامية، وقد أمر خطباء المساجد أن يترحموا على أبي بكر وعمر، وأن يسبّوا عليّاً ومن يحبُّه، فكان بعض محبي عليّ كردة فعل يسبُّون أبا بكر وعمر ويترحمون على عليّ، ولذلك اتهم الشيعة بسب الشيخين.

وأما سبّ النبيّ ﷺ فقد أجمع رجال الحديث وأصحاب الصحاح والمؤرخون على أحاديث صحيحة تقول: قال رسول الله ﷺ: «**من سبَّ علياً فقد سبَّني ومن سبَّني فقد سبَّ الله**».

ـ وصفَ العلايلي معاوية ويزيد وسائر الأمويين بالظلم والحقد والكيد والمجون، والعبث بحياة المسلمين والإستهتار بتعاليم الشريعة، وقتل صحابة النبيّ بغير ذنب.

- استيلاء معاوية على الخلافة بدون مشورة، وفي الأمة بقية الصحابة وذوو الفضل، ثم استخلف ابنه يزيد وهو سكّير خميّر يلبس الحرير ويضرب بالطنابير.
- قتل الأمويون النخبة من الصحابة وأبناء الصحابة وهدموا المدينة المنورة في وقعة «الحرّة» عام 63 هـ. وقتلوا خيرة المهاجرين والأنصار ثم تجرؤا على الكعبة قبلة المسلمين فهدموها مرتين، وقتلوا عبد الله بن الزبير وكان متعلقاً بأستار الكعبة.

وقد قتل الحجاج بأوامر من عبد الملك بن مروان أكثر من 120 ألف من زعماء البيوتات العربية.

إن من قتلهم معاوية ويزيد والحجاج من رجال لمسلمين كان باستطاعتهم أن يعبروا بالإسلام إلى قارات العالم.

. كان هدفهم الفتوحات الإسلامية في عهد بني أميّة هو الإستيلاء على البلاد وجني المغانم، وقد تحوَّل الجند إلى مرتزقة، بعد أن كانت الجيوش غايتها نشر الإسلام وبسط التعاليم القرآنية، عندما كانت مشبعة بالروح الجهادية.

لقد حال معاوية من إتمام المرحلة الإسلامية، وصارت جيوشه تتوجه إلى مهبط الوحي وتعيد الشرك إلى بلاد الإسلام، وتحارب المسلمين الصادقين.

لقد حرَّف الأمويون الدين الإسلامي وارتكبوا الجرائم ونسبوها إلى الإسلام مقابل حفنة من الدنانير.

من أجل ذلك خرج الحسين للإصلاح في أمة جده، وكان للثورة الحسينية خصائص عديدة، أهمها: أن تبقى كربلاء مدرسةً مستمرة تُعلِّم الأجيال مباديء السماء ليبقى الإسلام محصناً من كل تحريف.

كان الإسلام بحاجة إلى تضحية كبرى، لذلك أخذ الحسين معه العيال والأصحاب، نهض طالباً الموت حباً بحياة الأمَّة وليس من الضروري أن يلتزم المسلمون كلهم، يكفي أن تكون هناك قلَّة تدافع وتحافظ عن هذا الخط.

الفصل السابع

الإمام علي بن الحسين

(زين العابدين)

علي بن الحسين، ابن علي بن أبي طالب، أمه فاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ وهو رابع الأئمة.

لقبه زين العابدين لكثرة عبادته، والسجّاد لإطالة سجوده.

ولد بالمدينة يوم الجمعة في النصف من جمادي الآخرة، عاش مع جدّه أمير المؤمنين عليّ سنتين، ومع عمّه الحسن عشر سنين، ومع ابيه ثلاث وعشرون سنة، وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة وهي مدّة إمامته.

توفي في المدينة سنة خمس وتسعين للهجرة وله من العمر سبع وخمسون عاماً، ودفن في البقيع مع عمه الحسن.

كان علي بن الحسين مع أبيه في كربلاء وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، لم يقاتل لأنه كان مريضاً فتركوه. وكان البقية الباقية من نسل رسول الله من الرجال.

دلائل الإمامة

- نصَّ عليه أبوه سيد الشهداء، واستثناه من الشهادة حتى لا تخلو الأرض من حجَّة..

- كان أفقه أهل زمانه وأعلمهم، وكان أكثرهم عبادة وتقىً وزهداً وفضلاً..

أولاده: أشهرهم الإمام محمد الباقر والإمام زيد.

مدرسة الدعاء

لم يكن باستطاعة زين العابدين أن يقوم بثورة، ولا حتى القيام بأي نشاط سياسي، وكانت الأحوال تشير إلى القضاء على الإسلام، فأجهزة الدولة كلها خاضعة للخليفة ولأعوانه من حوله كان الإمام السجّاد وحيداً إزاء هذا البغي والإجرام والقتل والرعب، فلم يبق إلا الدعاء ملاذاً وحربةً يطعن بها الأعداء.

في كربلاء قُتل الرجال، وسُبيت النساء، ولم يسلم إلا الإمام السجاد، الذي كان عليه واجب القيام باشاعة الفكر الصحيح بين الناس، وهو لا يستطيع أن يمارس التدريس كما فعل الإمام الصادق، ولا أن يفعل كما فعل عليّ والحسن والحسين، فكان الدعاء.

كانت الصحيفة السجادية مجموعة من الأدعية، تتضمَّن دستوراً للحياة، وتؤسس لجمهورية إنسانية يحكمها التسامح والعدل وتسودها المحبَّة.

لقد نشر زين العابدين مفاهيم التوحيد والنبوّة والإمامة بأسلوب الدعاء.

ذكَّر الناس بحقوق الصلاة والصوم والحج وبر الوالدين وبحقوق الأصدقاء والجيران، في زمن ابتعد الناس عن العبادات وعن التمسك بالقيم الإنسانية.

كان الدعاء مدرسة تبث المعرفة الإلهية والمحبّة والتوجيه ليصلح الناس دنياهم وآخرتهم.

البعد الإنساني في الصحيفة السجادية:

إذا نظرنا تباعاً في تراثنا الديني، رأينا وحياً سماوياً وهو القرآن، ثم نهجاً نبوياً وهو الحديث الشريف، ثم نهجاً إمامياً وهو «نهج البلاغة» ثم الصحيفة السجادية وأقوال الأئمة.

وبعد ذلك توالت كتب الفقه والعرفان مع العلماء فالصحيفة السجاديّة هي رابعة التراث، وقد التزمت الدعاء مدرسة تبث المعرفة الإلهية والأعمال العبادية، والحياتية.

توزَّع البعد الإنساني عند زين العابدين إلى نظري وتطبيقي.

كلام ودعاء واستغفار، وتسامح وأفعال، وقد مزج بينها برفق موحداً بين النظرية والتطبيق وسيرة زين العابدين موزّعة بين مصادر للسُّنة والشيعة على السواء.

ومن المصادر السُّنية: «حلية الأولياء» للاصبهاني، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر، و«الفصول المهمة» للمالكي.

إنسانية زين العابدين:

«كان زين العابدين إذا ناول السائل الصدقة قبَّله ثم ناوله ودعا[1] له».

التقبيل للسائل صدقة معنوية إذا اقترنت بالعطاء المادي، فهي ترفع القهر وتعطِّل التمييز الطبقي وتشرِّع المساواة بين البشر.

---

(1) حلية الأولياء وتاريخ دمشق لابن عساكر.

أما صدقة السر التي كان يتعامل بها الإمام لها وجوه متعددة.

تقول المصادر العديدة: أنه أحصي عدد ممن كان يساعدهم بالقوت سراً نحو مئة بيت من أهل المدينة يُرزقون ولا يدرون من أين تأتي أرزاقهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم.

حلمه:

الحلم الأصيل صفة تلازم الأنبياء والمعصومين، وهو العفو عن المسيء.

كان زين العابدين وارثاً للحلم عن أبيه وجدِّه، عشرات المواقف في الروايات والأخبار تحكي عن حلم زين العابدين.

مواقف قد تكون يوميه، ترسِّخ وتؤصل الحلم في شخصية زين العابدين، فهو إمام لا يستفزه الغضب، بل يعفو ويصفح ويسامح.

لم يكتف الإمام بالعفو عن الأعداء، بل راح يستغفر ويدعو لهم، ويقول في أحد أدعيته:

«اللهم أبدلني من بغض الأعداء بالمحبة، ومن حسد أهل البغي بالمودة، وسدَّدني أن أقابل من غشَّني بالنصح، واجزي من هجرني بالبرّ، ومن حرمني بالبذل، ومن قطعني بالصِّلة ومن اغتابني بحسن الذكر، وأن أشكر الحسنة وأُغضي عن السيئة...

في إحدى الروايات عن زين العابدين في تاريخ الطبري تقول: «كان هشام بن إسماعيل والياً على المدينة وكان شديد الأذى لزين العابدين، فلما عُزِل أمر به الوليد بن عبد الملك أن يوقف للناس للاقتصاص منه فمرَّ عليه علي بن الحسين فسلَّم عليه، وأمر أصحابه أن لا يتعرض له أحد ولو

بكلمة، ثم أرسل إليه من يقول له: إذا احتجت إلى شيء فنحن نساعدك فقال هشام: الله أعلم حيث يضع رسالته.

رسالة الحقوق:

يقول زين العابدين في البداية:

«طوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوق ووفقه وسدّده».

لخَّص رسالة الحقوق في المقدمة ثم فصّلها خمسين حقاً وأنهى معظمها بقوله: «ولا قوة إلا بالله» لأن تطبيق هذه الحقوق تحتاج إلى قوَّة من الله.

سنذكر بعضها:

1 ـ فأما حق الله فهو أن تعبده ولا تشرك به شيئاً (التوحيد).

2 ـ وأما حق نفسك عليك فأن تخضعها لطاعة الله.

3 ـ حق اللسان تعويده على قول الخير والحمد والشكر والبعد عن قول الفحش والغيبة والسب.

4 ـ حق السمع وهو الباب إلى القلب، عليك أن تنزِّهه عن سماع المحرَّمات.

5 ـ حق البصر: أن تغضّه على ما لا يحلَّ لك.

6 ـ حق القدمين: أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلُّ لك.

7 ـ حق اليدين: أن تبسطهما لمساعدة الآخرين، وللعبادة وأن تقبضها عن المحرمات.

8 ـ حق البطن: أن لا تجعله وعاءً لأكل الحرام، وأن لا تتخمه بالطعام.

9 ـ حق الصلاة: أن تقوم بها خاشعاً متضرعاً راجياً.

10 ـ حق الصوم: أن تصوم عن الطعام وعن الذنوب وعن النميمة.

11 ـ حق الصدقة: أن تعلم أن الصدقة هي واجب عليك وأنها تطفىء غضب الرب، وأن لا تمنَّ على من تصدّقت عليه.

12 ـ حق الوالدين: أن تشكرهما وتبرّهما لأنهما أصلك وأنت الفرع وهما سبب وجودك.

13 ـ حق الأخ: لأنه اليد التي تعينك عند الحاجة.

- حق صاحب المعروف: أن تشكره وتدعو له، وإن استطعت أن تكافؤه.
- حق الجليس: أن تكون ليّناً وتجاريهِ في الحديث وتقاسم معه النظرات وأن تودِّعه باحترام.
- حق الجار: أن تحفظه غائباً وتكرمه شاهداً، وتنصره وتعينه على حاجته وأن لا تحسده على نعمة.
- حق المال: أن لا تأخذه من حرام، وأن تنفقه وتصرفه في الحلال، وان تدفع الحقوق الواجبة عليك وأن لا تبخل به وتتركه لمن قد يصرفه في المعاصي ولا يحمدك، ولا يعمل به في طاعة ربّه.

قصيدة الفرزدق في زين العابدين علي بن الحسين:

روي أن هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة أبيه، فطاف بالبيت، فلما أراد أن يستلم الحجر الأسود لم يتمكن، وبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين، فلما دنا من الحجر انفضّ الناس عنه إجلالاً له وهيبة واحتراماً، فقال أهل الشام لهشام من هذا؟! فقال لا أعرفه لئلا يرغب الناس فيه، وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه، فقالوا: من هو؟...

قال: هذه بعض الأبيات من القصيدة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا بن خير عباد الله كلهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدِّه أنبياء الله قد خُتموا
من جدُّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت لها الأمم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان: الحلم والكرم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
مقدَّم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل حكم ومحتوم به الكلم
فليس قولك: من هذا بضائرهِ ... العُرب تعرف من أنكرتَ والعجمُ

ماذا يقول زين العابدين عن شعائر الحج:

لما رجع زين العابدين في إحدى سفراته إلى الحج، استقبله أحد الأشخاص من شيعته، فبادره بالسؤال: وقال: هل حججت يا شبلي؟

قال: نعم يا بن رسول الله

فقال زين العابدين: حين نزلت الميقات، نويت ان تخلع ثوب المعصية وتلبس ثوب الطاعة؟

قال: لا.

قال الإمام: حين تجرَّدت من مخيط ثيابك، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟

قال: لا.

ثم قال الإمام: حين أحرمت نويت أنك حرَّمت على نفسك كل حرام حرَّمه الله؟ قال: لا.

ثم قال له: حين سعيت، نويت أنك هربت إلى الله، وعرف ذلك منك علّام الغيوب؟

ـ ثم قال: عندما صافحت الحجر الأسود، شعرت أنك قد صافحت الله، وعاهدته على الطاعة وعدم المعصية؟ قال: لا.

فقال زين العابدين: فما أحرمت ولا سعيت ولا سلَّمت على الحجر الأسود.

ثم عاد وسأله: أسعيت بين الصفا والمروة، ونويت أنك بين الرجاء والخوف؟ قال: لا.

وعندما وقفت بعرفة وطلعت جبل الرحمة، هل عرفت أن الله يأمرك بالتعلم والمعرفة، وأنه مطّلع على سريرتك وقلبك؟ قال: لا.

وعندما رميت الجمار، هل نويت أنك رميت عدوك إبليس وعصيته بعد أن أتممت حجّك؟

وعندما حلقت شعرك نويت أنك تطهرت من الأدناس وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟ قال: لا.

وعندما ذبحت هديَك نويت أن تذبح الطمع، وأنك مستعد أن تضحي بأغلى ما لديك طاعه لله تعالى وأنك متمسك بسنَّة إبراهيم عندما أراد أن يضحي بولده قربة لله تعالى؟ قال: لا.

قال زين العابدين: إذن فما وصلت منى ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا ذبحت هديك ولا طفت طواف الإفاضة، إرجع أنك لم تحج، فبكى الشبلي، وما زال يتعلم حتى حجَّ بعدها وهو على معرفة ويقين مما يقوم به من شعائر.

الفصل الثامن

الإمام محمد الباقر عليه السلام

محمد الباقر هو ابن علي بن الحسين، ابن عليّ بن أبي طالب، وهو الإمام الخامس.

ولد في مدينة جدِّه المدينة المنوّرة في رجب في السنة السابعة والخمسين للهجرة.

توفي في ربيع الآخرة سنة 114هـ، وهو في السابع والخمسون من عمره.

دُفن في البقيع إلى جانب أبيه زين العابدين.

أشهر أولاده: الإمام الصادق وكان يُكنَّى بأبي جعفر.

فضله وعلمه:

قال الذهبي: كان الباقر قد جمع العلم والعمل والسؤدد والشرف، وكان أهلاً للخلافة، وكان إماماً مجتهداً كبير الشأن.

وقال عبد الله بن عطاء في حلية الأولياء: كان زاهداً عابداً وقد بلَغ من العلم درجةً عالية سامية، حتى أن كثيراً من العلماء كانوا يرون في أنفسهم فضلاً، فإذا جلسوا إليه أحسّوا أنهم تلاميذ بين يديّ معلم يتعلمون منه.

قال ابن الصباغ المالكي: هو باقر العلم وجامعهُ وشاهرهُ ورافعهُ، وقد رسخت في مقام التقوى قدمه. ولذلك لُقِّب بالباقر أي من بقَر العلم واستخرج خفاياه.

حق آل البيت:

قال الباقر عليه السلام: «نحن ولاة أمر الله، وخزان علمهِ وورثةِ وحي الله، وحملةِ كتاب الله، طاعتنا فريضة وحبنا إيمان، وبغضنا كفر، مُحبُّنا في الجنة، ومُبغضنا في النار».

وقال عليه السلام: «إن أمرنا صعبٌ مستصعب، لا يحمله إلا ملك مقرَّب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبد إمتحن قلبه للإيمان».

وكان يقول: «بليّة الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا».

وقال: «نحن أهل بيت الرحمة، وشجرة النبوَّة».

الرحلة الأولى إلى دمشق:

أول من أمر بضرب الدنانير والدراهم، هو الإمام عليّ عليه السلام في البصرة سنة 40 هجرية، لكن الأمويون رفضوا سكَّة عليّ، وتداولوا الدراهم والدنانير الرومية، وظل الأمر كذلك حتى عام 76 هـ، عندما عزم عبد الملك أن يُعرِّب العملة وكانت تُضرب في بلاد الروم، ويُنقش عليها (أب وابن وروح قدس).

ولما علم ملك الروم بأن عبد الملك يريد تعريب العملة الإسلامية، غضب وأرسل إليه: إن كان من تقدَّمك من الخلفاء قد أصاب، فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد اخطأوا، وعليك أن تختار أيهما شئت. وإلا أتاكم من الدنانير عليها شتم نبيكم.

عظُم ذلك على عبد الملك واستشار أعوانه فقال له أحدهم عليك باستشارة محمد الباقر، كتب عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن أشخِص إليَّ محمد بن عليّ بن الحسين مكرَّماً.

ولما وصل الإمام إلى دمشق لقيه عبد الملك وأخبره بالأمر، فقال له الباقر:

«بادر إلى ضرب الدراهم والدنانير واجعل النقش عليها، سورة التوحيد في وجه، وذكر النبيّ في الوجه الآخر، واجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد والسنة التي تُضرَب فيه تلك الدراهم والدنانير، ثم تكتب أمراً للولاة في جميع بلاد الإسلام للتعامل بها وتحريم التعامل بالدنانير الرومانية.

لما وصل الخبر إلى ملك الروم، قال: إنه عمل ذكيّ فلو نقشتُ ما توعدتُ بهِ، لما نفع لأن اهل الإسلام لن يتعاملوا بسكَّتنا، أي (بنقدنا).

رحلته الثانية إلى دمشق:

طلبت السلطات الأموية في عهد هشام بن عبد الملك من الإمام محمد الباقر أن يحضر إلى دمشق، موجّهةً إليه التهم، بأنه يُعلِّم الناس، ويُفسِّر القرآن، ويُقاوم الإنحرافات، ويصحّح أخطاء القضاة، ويقوِّم فتاوى علماء السلطة أنصاف الفقهاء، وكان معه ابنه الإمام الصادق.

قال الصادق: «لمّا أُشخِصَ أبي إلى دمشق، سمع الناس يقولون: هذا ابن أبي تراب! فأسند ظهره إلى جدار القبلة، ثم حمد الله وصلى على النبيّ، ثم قال: أيها الناس اجتنبوا الشقاق وذريَّة النفاق، وأهل جهنم، الذين يتعرضون لأمير المؤمنين والصراط المستقيم من قبل أن نطمِسَ وجوهاً فنردَّها على أدبارها، أو يلعنوا كما لُعِن أصحاب السبت وكان أمر

الله مفعولاً، أبوصيّ رسول الله تستهزؤن؟ أم بيعسوب الدين تلمزون، وأي سبيل تسلكون.

دخل الإمام الباقر ورفع يده وقال: السلام عليكم جميعاً، ولم يخصص الخليفة بالسلام، فقام هشام بن عبد الملك وقال: يا محمد بن عليّ، لا يزال الرجل منكم يشقُّ عصا المسلمين ويدعو إلى نفسه ويزعم أنه الإمام سفَهاً وقِلّة علم، ثم توالى أعوان هشام يردّدون ما قال.

قاطعهم الإمام الباقر ثم وقف وقال:

«أيها الناس أين تذهبون وإلى أين يُراد بكم؟ بنا هدى الله أوَّلكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم مُلكٌ معجَّل، فإنَّا لنا ملك مؤجل، وليس بعد مُلكنا ملك، لأننا أهل العاقبة ويقول الله عز وجل: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

خاف هشام كلام الباقر فأمر به إلى السجن، وهناك أكمل الإمام حديثه، فثار السجناء، وجاء السجَّان وأخبر بثورة الناس، فأمر هشام بردِّه إلى المدينة.

سار مع أصحابه ثلاثة ايام بدون طعام ولا شراب حتى وصلوا المدينة، فأُغلِقَ باب المدينة دونهم بأوامر من هشام، فكادوا يموتون جوعاً وعطشاً كما مات جدّهم الحسين في كربلاء، فصعد الإمام الباقر إلى جبل مُشرفٍ على المدينة وصاح بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها: أنا بقيَّة الله، يقول الله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾، وسمع النداء شيخ عاقل فقال: يا قوم هذه والله دعوة الأنبياء، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل، لتؤخذنَّ من فوقكم ومن تحت أرجلكم فبادروا واخرجوا إلى الباقر وأصحابه بالطعام والشراب.

رسالته العلمية:

جمع الإمام الباقر عليه السلام الفضائل والمكارم والعلم، وقد امتلأت الكتب بحديثه، وقد سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالباقر.

فها هي كتب الفقه والحديث والتفسير وكتب الأخلاق مستفيضة بأحاديثه، فقد روى عنه رجل واحد من أصحابه «هو محمد بن مسلم» أكثر من ثلاثين ألف حديث.

وقد كانت الظروف مواتية له لأن الدولة الأموية كانت في آخر أيامها، فاستغلَّ الإمام الفرصة ونشر ما أمكنه من العلوم والمعارف، وكذلك فعل ولده الصادق وقد استغلَّ انشغال الظالمين ببعضهم، الدولة الأموية والعباسية، فأتمَّ ما كان أبوه الباقر قد أسَّسه ولو قُدِّرَ للأئمة الآخرين أن يحصلوا على ظرفٍ كظرف الباقر والصادق لما قصّروا عن ذلك، إتخذ الباقر العلم منهجاً لتقويم الإنحرافات العقائدية من هذه الإنحرافات، إنصراف جماعة من المسلمين للعبادة والزهد بلا فقه ولا علم صحيح، فأعلن الإمام الباقر أقوالاً ومفهوماً يصحّح المسار، فقال: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد».

خاض في العلوم الدينية لأن الخليط من الشعوب الذي كان يتألف منه المجتمع الإسلامي جعلت المناهج متباينة في فهم التعاليم الإسلامية فكانوا يتأولون القرآن على غير مقاصده، ويدلِّسون في الحديث النبوي كما يشاؤون، ويستهزؤون بالعبادات فصحّح الباقر وقوَّم إعوجاج المناهج المتصارعة في ا لعقائد والعبادات والمعاملات، فاستنبط العلوم الحقيقية، وفجِّر ينابيع المعرفة.

سأله أحدهم: هل رأيت الله حين عبدته؟

قال الباقر: «ما كنت أعبد ربّاً لم أره!

قال السائل: كيف رأيته؟

«قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».

ثم قال: إن الله لا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوتٌ بالعلامات، عادلٌ لا يجور في حكمه، هو الله الذي لا إله إلا هو».

وقد روى الحديث عن الإمام الباقر: بقايا الصحابة والتابعين، وأهم فقهاء المسلمين مثل: ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، وأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وعطاء بن رباح، وعمر بن دينار، ونقل عنه المؤرخين مثل: الطبري والبلاذري، والخطيب البغدادي وغيرهم، وكلهم كان[1] يقول: قال محمد الباقر عليه السلام.

وقد روى الإمام الباقر عليه السلام الحديث مرسلاً عن جدَّيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعن عليّ عليه السلام وعن الأئمة من قبله الحسن والحسين وعن أبيه زين العابدين.

(1) المناقب سير الأعلام، وطبقات المفسرين.

الفصل التاسع

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

الإمام جعفر الصادق، هو ابن محمد الباقر، ابن عليّ زين العابدين، ابن الحسين السبط الشهيد، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الإمام السادس، وقد ولد الصادق في المدينة المنوَّرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين للهجرة.

أمه فروه ابنة القاسم ابن محمد بن ابي بكر، توفي وله من العمر خمس وستون سنة، دفن في البقيع مع جده وأبيه وعمه الحسن، مدة إمامته 34 سنة نشأ الصادق في حِجر إمامين، هما: السجَّاد والباقر في دار الهجرة.

بعد وفاة الإمام محمد الباقر، تولى جعفر الصادق مقاليد الإمامة بعد أبيه، وهو الإمام السادس للشيعة الإمامية، وتسمى الشيعة الإمامية بالجعفرية.

لُقِّب بالصادق لأنه لم يُعرف عنه الكذب أبداً.

استطاع الإمام الصادق أن يؤسس في عصره، مدرسة فقهية، فتتلمذ على يده العديد من العلماء الكبار مثل جابر بن حيان، وكان الإمام مالك يتعلم منه ويروي عنه، وقد شهد له أبو حنيفة النعمان بأنه أعلم الناس وكان تلميذاً عنده وقد قال: «لولا السنتان لهلك النعمان».

عندما تولى الإمام الصادق الإمامة، راح يُعلِّم الناس أمور دينهم،

ويصحّح الإنحرافات بعد أن قرأ الظلم في تصرفات الولاة، ولمس القهر بتوزيع الثروة، وتألم لعدالة الإسلام كيف افترسها الجور، وشاهد تحريف الأحكام الإلهية وجهل فقهاء السلطان.

إنه إسلام أهل الشام مع ملوكهم أخذوه من معاوية ومن أبي سفيان اللذان أسلما يوم الفتح وكانا يحاربان الدين باسم الدين بعد أن عفا عنهم النبيّ وقال لهم إذهبوا أنتم الطلقاء.

أقام الإمام الصادق عليه السلام مدرسته العلمية والفقهية في فترة ما بين الدولة الأموية المتهاوية والعباسية الناشئة، وقد توفرَّ له ما لم يتوفَّر لغيرهِ من الأئمة ليقوم بهذه الثورة العلمية التي لم تشهدها اي مدينةٍ من قبل.

كانت هذه المدرسة تُدرِّس الفقه والحديث وعلم الكلام والفسفة والرياضيات والكيمياء والطب والتربية والأدب والشعر.

وقد أمَّها الناس من مختلف الأقطار الإسلامية، كان يأتيه علماء ومفكرون متأثرين بتيارات فلسفية يونانية، وقد كانت منتشرة في ذلك الزمن.

وأخذ عنه الفقه وعلم الحديث، جماعة من أئمة المذاهب الإسلامية.

وقد تخرَّج من هذه المدرسة حوالي أربعة آلاف رجل من العلماء والطلاب، وقد حملوا الفكر الإسلامي الصحيح فكر أهل البيت، وانطلق فريق منهم يعملون للإصلاح في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن انحرف بمسيرتها ملوك وفقهاء جهلة زوروا التعاليم ومزّقوا القرآن، كما فعل الوليد بن عبد الملك.

ولما استتب الأمر للمنصور العباسي، بدأ بمحاربة مدرسة الإمام الصادق لأنها تُخرِّج فقهاء يلتزمون بالإسلام الحق الصحيح المتصل بتعاليم الرسول، وقد أبعد المنصور الإمام الصادق من المدينة إلى الكوفة ليكون

تحت المراقبة والحصار لينصرف الناس عنه، ولكن كان حيث يحلُّ الإمام الصادق تقام مدرسة فقهية وعلمية، فصار الناس يأتون الكوفة ليأخذوا من ابن بنت رسول الله تعاليم الإسلام والحديث والفقه وغيره... وكلهم يفخر بأنه سمع من جعفر بن محمد الصادق.

وقد تردد أبو حنيفة النعمان على مجالس الإمام الصادق مدَّة سنتين صحَّح خلالها معلوماته وقياساته، وكان يزوره في المدينة، ثم بالكوفة.

يقول أحد العلماء الذين تعلَّموا بمدرسة الصادق، وهو الحسن بن الوشاء، يقول:

«أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول: «حدثني الإمام الصادق».

علومه:

يقول الإمام الصادق عليه السلام: عِلمُنا غابر ومذكور، وهو نكتٌ في القلوب، ونقرٌ في الأسماع، وعندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة».

ويقول: «حديثي حديث أبي، وحديث جدِّي عليّ بن أبي طالب، وحديث جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول الله عز وجل.

أشهر من حدَّث عنه:

مالك بن أنس، وأبو حنيفة، سفيان الثوري، فضل بن عياض، سفيان بن عيينه، حاتم بن إسماعيل، ابن جريج، حفص بن غياث، زهير التميمي، روح بن القاسم، هشام بن الحكم البغدادي، المعلّى بن خنيس وقد أ خرج عنهم مسلم في صحيحه، وروى عنه الشافعي وعمر بن دينار، وأحمد بن حنبل.

المدرسة الفقهية:

حضَّ الناس على المعرفة والتفقه، والنظر في دين الله وقال: «أحسنوا النظر فيما لا عذر لكم في جهله وانصحوا أنفسكم وجاهدوها، فإن لدين الله أركاناً، لا ينفع من جهلها شدة اجتهاده».

ولقد نهى الإمام الصادق الفقهاء عن الركون إلى السلاطين.

فقال: «الفقهاء أُمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم».

وقد تحوَّل معظم الفقهاء إلى وعَّاظ للسلاطين، يأتمرون بأوامرهم، ويحرّفون الكلِم عن مواضعه، ويعدلون الأحكام إلى الجور، إرضاءً للطغاة وطمعاً بالدينار.

التفسير:

فسَّر الإمام الصادق القرآن، وفصَّل للسائلين الآيات المحكمة والآيات المتشابهة، والناسخ والمنسوخ والخاص والعام، وآل البيت هم القرآن الناطق.

علم الكلام:

بيَّن الإمام الصادق الأدلّة والبراهين على وجود الخالق وعلى النبوّة والإمامة وكان له مناظرة كلامية ذكرها يونس بن يعقوب. قال:

كنت عند أبي عبد الله الصادق، فجاءه رجل من أهل الشام وقال له: جئت لمناظرة أصحابك فقال له الإمام: كلامك من كلام رسول الله أم من عندك؟ فقال الرجل: بعضه من كلام رسول الله وبعضه من عندي، قال له

الإمام: فأنت إذن شريك رسول الله! قال: لا، قال الإمام: أسمعت الوحي عن الله؟ قال: لا.

إلتفت الإمام إلى يونس بن يعقوب وقال إن صاحبك قد خصِمَ نفسه قبل أن يتكلم.

علوم الإمام الصادق في الكيمياء والطب والفلك والنجوم:

للإمام الصادق آراء في الطب الوقائي وفي العلاج والدواء وفي الكيمياء وقد كان تلميذه جابر بن حيان قد اعترف في رسالة الكيمياء بأنه أخذ علومها عن الإمام الصادق، وفي الفلك والنجوم، وفي البيئة، قال الإمام: «على الإنسان أن لا يلوِّث ما حوله لكي لا يجعل الحياة شاقَّة له ولغيره».

العلم الإلهي:

لقد أخذ الأئمة علمهم عن جدهم رسول الله ﷺ عن جبرائيل. وقد قال الإمام الصادق: «نحن خزان علم الله وتراجمه وحي الله، وقد أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، ونحن حُجَّة الله البالغة على من دون السماء وما فوق الأرض».

ومن أقواله:

«اكتبوا فإنكم لا تحفظوا حتى تكتبوا».

وقال: «العلم أمانة يؤديها الآباء للأبناء وهي إرث يفوق إرث المال».

وقال: «اكتب وبثّ علمك في إخوانك وورِّث كتبك لأولادك».

وقال: «إن لم تكونوا حملة العلم وناشريه بين الناس، فكونوا حفظةً له».

وقال: «اطلبوا العلم ولو بخوض اللجج وشقّ المهج».

التوحيد والعدل:

قال الإمام الصادق: «التوحيد أن لا تجوِّز على الله ما جاز عليك، والعدل لا تنسِبَ لخالقك ما لامَكَ عليه».

وعن التوحيد قال: «إن الله لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه.

وقال عن القضاء والقدر: «إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق، سالهم عما عهِد إليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم».

وعن القياس: «قال لأبي حنيفة: (النعمان بن ثابت): «بلغني أنك تقول بالقياس؟ قال: نعم أقول به فقال الإمام: «ويحك أمُر إبليس بالسجود لآدم، فأبى، وقال: خلقتني من نار، وخلقته من طين».

ثم سأله الإمام: أيهما أكبر يا نعمان، القتل أم الزنا؟

قال أبا حنيفة: القتل.

قال الإمام: فلما جعل الله في القتل شاهدين وفي الزنا أربعة، أيقاس لك ذلك؟ قال: لا.

قال الإمام: أيهما أكبر الصلاة أم الصيام؟

قال أبا حنيفة: الصلاة، قال الإمام: فلما وجب على الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ أيقاس لك ذلك. قال لا.

قال الإمام: لما جعل الله للرجل سهمين في الميراث وللمرأة سهماً؟ أيقاس ذلك؟ قال أبا حنيفة: لا.

الجرأة في مواجهة السلاطين:

كان المنصور العباسي من الذين رفعوا شعار ضد الأمويين مردّدين: (يا للرضا من آل محمد)

ولما تبوأ السلطة خشي من أصحابها الشرعيين من آل محمد الذين رفعوا شعارهم.

وقد روى الذهبي في سير الأعلام: أن المنصور كان يقول: إن جعفر بن محمد لا يعترف بسلطاني، قتلني الله إن لم أقتله.

وقد استطاع الصادق أن ينجو من القتل أكثر من مرَّة بدعاءٍ ذكَرهُ الذهبي يقول: «اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام».

وفي إحدى الجلسات التي كان المنصور يستدعي لها الإمام الصادق، وقع الذباب على أنف المنصور فكان يذبُّه فيلحَّ عليه الذباب فسأل الإمام: لِمَ خلق الله الذباب؟ قال: ليُذلَّ به أنوف الجبابرة.

وكان يقول أمام الحشود من طلابه: «من نكد العيش حكم السلطان الجائر».

إن جرأة الصادق حملت المنصور على تشريده وتهجيره من المدينة إلى الكوفة ثم إلى بغداد، ثم أعاده إلى المدينة، ثم توفي الإمام الصادق في أيام المنصور وقبره في البقيع.

قام الإمام الصادق بثورةٍ علمية معرفية بدل ثورة الدماء، وأعرض عن

الخلافة التي عُرضت عليه من بعض الذين رفعوا شعار «الرضا من آل محمد» كأبي سلمة الخلال، ورأى أن الخلافة الزمنية لا تستقيم إلا بشلالات من الدماء تأكل آل البيت وشيعتهم وعمل على ترسيخ الخط الإمامي معتمداً على سلاح المعرفة والعلم، وقد بقيت تلك المدرسة إلى يومنا هذا.

قالوا في الإمام الصادق عليه السلام:

قال مالك بن أنس، «ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فهو أفضل الناس وأعلمهم بدين الله». وقال أبو حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد وأضاف: لولا السنتان لهلك النعمان».

وقال الجاحظ: «جعفر بن محمد ملأ الدنيا بعلمه وفقهه».

وقال خير الدين الزركلي: «إن الإمام جعفر بن محمد لُقِّب بالصادق لأنه لم يُعرف عنه الكذب قط، وكان جريئاً وصدّاعاً بالحق».

وقال عبد العزيز سيد الأهل: «جعفر بن محمد كان إماماً مفخرة من مفاخر المسلمين وسيبقى صوتاً صارخاً إلى يوم القيامة، يُعلِّم الزهاد الزهد، ويُكسب العلماء العلم، ويهدم الظلم ويبني العدل».

دور العقل في المعرفة الإلهية عند الإمام الصادق عليه السلام:

في القرن الثاني للهجرة، نبتت الفرق الكلامية، والنظريات الفلسفية، وتصارعت الفرق والمذاهب تُمعن في تمزيق الإسلام، فكثرت المخاصمات، وتجرأ أحد زعماء الدهرية بالقول:

«وقد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج أحد بكتاب الله ولا بنبيِّه، فإننا لا نأخذ بذلك وإنما نناظر بالعقل وبالقياس».

شعر الفقهاء بخطر هذه الآراء على الإسلام، ورموهم بالكفر والإلحاد.

وهنا برز دور الإمام الصادق في مواجهة الجنون، فحرِص الإمام على مقابلة العلماء بسلاح من نوع سلاحهم، فقال لهم: «حجّة الله على العباد هو النبيّ، والحجّة فيما بين العباد وبين الله هو العقل».

هذا التوجُّه تحوَّل إلى مدرسة تحتكم إلى العقل، كما تحتكم إلى النصوص.

والإمام موسى الكاظم استمرّ على نهج والدهِ في التصدِّي لموجة الإلحاد المتوارية خلف الجدل العقلي، فقال: «إن لله حجتين: حجّة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فهي العقول».

إن أيديولوجية العمل الإسلامي اقتضت اعتماد العقل مقروناً بتعاليم القرآن الكريم والسّنة النبوية، فالعقل يدل على الخير وعلى الشر، والآيات القرآنية تبين الحقائق.

اعتمد الإمام الصادق على العقل لمواجهة الملاحدة لأنهم رفضوا النصَّ الإلهي، وكشف لهم خصائص العقل ودوره وارتباطه بالدين، والحق والأخلاق، وهي صفات العاقل، فالعقل هو أساس العلم والمعرفة والعبادة، وهو أساس للمدارس الأخلاقية والإجتماعية والإنسانية.

وقد أجاب الإمام الصادق عن سؤال يطرحه بعض الفلاسفة وحتى عامة الناس، وهو:

هل الذين يعرفون الله ولا يعبدوه لا يملكون عقلاً؟

فأجاب الإمام وفصَّل خصائص العقل وقال: «إن دعامة الإنسان العقل، وهناك قوى تصدر عن العقل هي الفطنة والذكاء والعلم، فإذا

تأيدت هذه القوى بالنور الإلهي، أشرقت النفس بعبادة الخالق وطاعته، وإذا تخلَّقت بالجهل استجابت لوساوس الشيطان.

لذلك ميَّز الإمام الصادق بين العاقل الذي يدعو لعبادة الله، وبين الفطنة والذكاء الذي يمتلكها الملحدون والكافرون، فإذا لم يؤيِّد العقل بالحكمة يُقفل العقل ويغرق في الغفلة، لأن الحكمة تلقح العقل وتوقظه وتنميّة، وهذا النماء العقلي يرافق الإنسان في كل أدوار حياته لأنه يضاء بأنوار التعاليم الإلهية وبالمعرفة والعلم.

الإنسانية والحروب:

سبَّبت الحروب كارثة للشعوب على مرّ التاريخ، وسعت إلى إفناء الجنس البشري، وكان الدين عند الله هو الإسلام أي السلام، وقد تجنَّب النبي الحروب ولكنه أُكره عليها في بدرٍ والخندق وأُحد، وقد لحقه المشركون حتى بعد أن ترك لهم مكَّة وهاجر إل المدينة، وكذلك فعل الصادق أبى أن يقوم بأي ثورة ضد من اغتصبوا الخلافة من الأمويين والعباسيين وعندما تحركت المعارضة في خراسان، ظنّ «أبو سلمة الخلال» أن قوّة المعارضة أصبحت قادرة على الثورة ضد الأمويين، وبعث رسالة إلى الإمام الصادق يبايعه خليفةً للمسلمين، ولكن عندما وصلت الرسالة ليلاً، قرأها الإمام ثم وضعها على المصباح وأحرقها، وظنَّ الرسول أن الصادق لا يريد أن يُعلِم أحداً بالرسالة، وسأله عن الجواب قال الصادق: الجواب ما قد رأيت!

حاول الإمام منع الفتنة على قدر استطاعته لأن الخلافة الزمنية آنيَّة، أما الخلافة الروحية فهي إمامةٌ أبدية تصون الإنسان وتحرس الدّين.

الإمام الصادق في مواجهة الإلحاد:

اختار الإمام الصادق طلّاباً أذكياء، وزَّع عليهم فنون العلوم، فكان

جابر بن حيان عالماً بالكيمياء والرياضيات وإليه يُنسب علم الجبر، وهشام بن الحكم له مؤلفات كثيرة، وهو صاحب ردود على الملحدين، وعلى المعتزلة وعلى من قال بإمامة المفضول، وغير هؤلاء الكثيرون من العلماء، مثل: حمران بن أعين وهشام بن سالم.

الدليل على الخالق:

كان الدهريون ينكرون وجود الخالق، ويطرحون الأسئلة على الإمام الصادق.

كان الإمام يجيب بأن الدليل كافياً في حدوث الموجودات، في الزهرة والشجرة والعصفور والبيضة وصولاً إلى الكون العظيم.

اعترضه أحد الملحدين في الطريق وسأله عن الخالق؟ نظر الإمام فرأى مركباً، فقال: أتعتقد أن هذا المركب أوجد نفسه بنفسه؟ قال الملحد: بل صنعه النجار! أجاب الإمام: إذا كان مركب صغير يحتاج إلى صانع، فما بال هذا الكون الوسيع المتقن، الا يكون له صانع؟ وسأله ملحد آخر: أرأيت الله حين عبدته؟

فيجيب الإمام: «ما كنت أعبد إلها لم أره».

فقال السائل: كيف رأيته؟ قال: «لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».

كان المسلمون يخوضون في تفسير الآيات القرآنية ولا يميزون بين المحكم والمتشابه، ويتجاهلون أساليب اللغة العربية في الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي، فعندما يتحدث الإمام الصادق ينفي الرؤية الجسمية، ولكن يعمد البعض إلى القول: ما معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فيجيب الإمام بأن الاستواء هو الإستيلاء والسيطرة والقوَّة، ثم يسألون: أيصح

السجود لغير الله وكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فيجيب الإمام: بأن من يسجد بأمر من الله فهو سجود لله.

انطلق الإمام الصادق عليه السلام للدفاع عن الإسلام مستكملاً تنوعات الدعوة في رحلة آل البيت الرسالية، من صلح الحسن إلى ثورة كربلاء، إلى دعاء السجاد، إلى مدرسة الباقر، إلى مدرستهِ لتفقيه الناس، وإلى استحضار العقل في معارف الأمة، بعد أن حرَّفوا نور العقل، وقد أكَّد الصادق للناس أن الحضور العقلي لا يدعو إلى الإلحاد، ولا يجيز الكفر، إنما يدعو إلى الإقرار بوجود الخالق القدير، ويرفض مبادىء المادية القائلة بالوجود التلقائي والصدفة، فالعقل يشير إلى أن لكل مصنوع صانع، ولكل مخلوق خالق، والموجودات قائمة بحسابات دقيقة وأنه بعد أن انقطع الوحي، بقي وحي العقل والآيات القرآنية مليئة بالإشارات إلى العقل، وقد ذُكرت جملة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ 49 مرّة، و19 مرّة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

الاتجاه الإنساني:

الإنسانية نزعة عالمية، تلغي الحدود والعرق والطائفة ليصبح الناس إخوه، وأهداف الدعوة الإسلامية، هي صوفية تعشق الخالق، وتدعو إلى المحبة وإلى الخير، وإلى أن يحب الإنسان أخيه الإنسان، وتدعو إلى مواساة الفقراء، ونصرة المظلوم، فلا يكون بائس ولا بؤس، ولا حاقد ولا حقد، ولا قتل ولا دماء... وتدعو للتواصل والتراحم والتسامح، وأن يتمنى كل إنسان لجميع أبناء الأرض سعادة الدارين، نعيم الدنيا ونعيم الآخرة... يقول أحد الدُعاة:

«سبحان الله أمِنَ المعقول أن أبغُض أخي لأنه رفض أن ينجو من الشقاء لعدم إيمانه بالله أما يكفيه عذابه وألمه»؟!

لم يتعدّى الإمام الصادق حدود الأحكام الإلهية ولم يعطِّل المنحى

الإنساني، والقرآن يقول ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ وهذه الآية تحمل التسامح وحريّة الاختيار.

وقرأ الإمام الصادق سيرة الأنبياء، وعلومهم عنده، فهو سليل النبوّات، وجدّه إبراهيم الذي شاهد العصاة والمذنبين فطلب لهم الموت فناداه الرحمن: يا إبراهيم! العباد عبادي دعهم يعيشون، وجاءه العتاب مرّةً ثانية عندما رفض استضافة مجوسيٌّ مشرك بالله، فناداه ربه: يا إبراهيم لقد استضفته ثمانين سنة، أما تستضيفه ليلة واحدة؟...

وتقول الآية: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [هود: 75].

ثم بعدها صار يجادل في قوم لوط ويطلب الرحمة للناس عن طريق التوبة، والحديث القدسي يقول: «يا بن آدم كن ما شئت وافعل ما شئت وتعالى إلى بابي فإنه مفتوح لك».

لقد استغلَّ سلاطين الإسلام تشريعات إقامة الحدود للإيقاع بأعدائهم، فوجهوا التهم إلى المناوئين لسياستهم وأقاموا عليهم حدود القتل ظلماً وجوراً.

كان الإمام الصادق يطالب بصون دم المذنب بالتوبة، وكان يستلهم ما فعله جدَّه أمير المؤمنين عليّ(ع) عندما أتاه مذنب وطلب التطهير بإقامة الحدّ عليه، فأجابه الإمام: «يا سبحان الله! أين باب التوبة؟» لا طهارة أفضل من التوبة.

قال الإمام الصادق عن إقامة الحد على السارق: «إذا جاء السارق بنفسه تائباً إلى الله عزّ وجل وردّ سرقته إلى صاحبها لا تقطع يده».

اتهمه الناس بتعطيل الحدود، فأجاب معللاً اجتهاده: «إذا أعترف السارق على نفسه فذاك للإمام إن شاء عفا وإن شاء قطع» لأن الإعتراف ندم وتوبة، وثواب التوبة هو الغفران والعفو».

التشريع للحريّة:

أقرَّ الإسلام الحرية في أبعادها الحياتية، عقيدة وسياسة وفي الحياة الاجتماعية، وحارب العبودية وإشكال الرِقّ، وجعل العتق في أولوية الكفَّارات.

رأى الإمام الصادق، أن نفس الإنسان تعشق الحرية ولا تقنع بمادية الجسد وحاجاته الغريزية وأذهله كيف فعل الحكام الذين قتلوا حرية الفرد المسلم، أماتوها بالقهر والكبت، بعد أن بدّلوا شريعة الله، وأوقفوا حركة المجتمع الحر، خاطب الشباب قائلاً:

«يا معشر الأحداث إتقوا الله ولا تأتوا الرؤساء دعوهم يصيروا اذنابا، ولا تتبعوا الحكام من دون الله».

الإصلاح بين الناس:

كان شعار الحكام (فرِّق تسُد) وما زال هذا الشعار رمزاً للدول الكبرى المتسلطة على الشعوب، تثير بينهم الفتن والخلافات، لكن الإمام الصادق خطط وسعى لمحاربتها، وعمل على وأد الفتن في مهدها.

أمرَ الإمام أن يُقتطع مبلغ من مال المسلمين للإصلاح بين المتخاصمين لإشاعة المودة والصفاء بين الناس جاء في المناقب: قال ابن حنيفة: مرّ بنا المفضل وهو من أصحاب الإمام الصادق، وكنا أنا وأختي نتشاجر في ميراث، فقال لنا: تعالوا إلى المنزل فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، دفعها لنا من عنده، ولما أردنا أن نشكرُه، قال: إنها ليست من مالي.

إن الإمام الصادق أودعني مالاً وأمرني: إذا تشاجر شخصان في شيء أن أصلح بينهما من ماله.

التشريعات الاجتماعية:

صدرت عن الإمام الصادق، تشريعات واجتهادات متفرقة ترسِّخ التعامل بين الأفراد:

- الأمانة يجب أن ترد للبرّ والفاجر.

وكان الكثير من الفقهاء يبيحون مال الفاجر والكافر.

- بالنسبة للديْن فقال: من استدان ديناً ولم ينوي قضاءه كان بمنزلة السارق.
- وقد حثَّ على القرض الحسن، لأنه يقضي حاجات الناس، ويشيع المعروف والتكافل في المجتمع، فالقرض يحفظ المال لصاحبهِ ويصون كرامة المقترض، وقد سؤل الإمام الصادق: لماذا حرَّم الله الربا؟

أجاب: لئلا يتمانع الناس المعروف.

المنهجية الفقهية:

حدَّد الإمام الصادق استنباط الأحكام الشرعية من أدلَّتها الأصلية وهي: القرآن الكريم، والسُّنة النبوية، وسيرة الأئمة.

لقد جاء في القرآن الكريم الأحكام بمجملها، وبقي التفصيل للنبيّ، فبيّن الأصول ومعظم الفروع وظلَّت قضايا جزئية لم تتوافر الدواعي والبواعث لبيانها، لعدم الحاجة إليها، وهذه القضايا الجزئية بيّنها الأئمة الأوصياء والعلماء الأتقياء في كل وقت استدعى أحكاماً حديثة.

السنّة النبوية

نهَلَ الإمام الصادق علمه من القرآن ومن السُّنة النبوية لرسول الله،

ومن الإمام عليّ، ومن الأئمة وقد جمع آراءهم الفقهية في فتاواه التي أغنت الفقه الإسلامي، وشرح الإمام الصادق عن العصمة، فقال: «علمُنا علم الأنبياء، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع» أي إلهام من الله تعالى.

المنهج العلمي:

أدرك الإمام الصادق، ان العلم أنجع وسيلة كي يكتشف الإنسان ذاته وما يحيط به من موجودات، لمعرفتها والسيطرة عليها، والإفادة منها، وإدراك الحكمة من وجودها.

عاش الإمام الصادق حقبة كثرت فيها أحاديث المتفلسفة، من دهرية، ومانويّة، ومزدكية، وعملت على إشاعة الإلحاد وإنكار الخالق، وقد انبرى الإمام يدحض آراءهم مستخدماً العلم الذي استخدموه على غير حقيقته.

ومن أشهر رسائله التي أملاها على تلاميذه «المفضَّل بن عمر الجعفي» ردّاً على الملاحدة، أظهر الإمام الصادق علوماً متطورة، تنبىء عن معرفة متعمِّقة للعلوم الطبيعية، وقد تناولها بمنهجيةٍ دقيقة، ورأى في كمالية خلقها كمال الخالق، وفي معرفتها تنكشف أسرارها، فيفيد الإنسان منها، ويتخطى الكثير من المشقات والآلام النفسية والجسدية، إذا علم حقيقتها بدأ بخلق الإنسان وتطوره، وقوى النفس وموقعها ثم تحدَّث عن النبات، وقد نسب الروح إلى النبات وقد اكتشف ذلك العالم الفرنسي «بيتا» المتوفي 1802م.

إن التشريع عند الإمام الصادق، يتميز بالنفحة الإنسانية لأنه كان يستلهم الرسل الذين كانوا يتحملون الأذى، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويقابلون الأحقاد بالمحبّة، وقد كُتِبَ لهذا الفقه والتشريع الخلود، ولكن الحكام الظالمين والجهلة عملوا على إلغاء هذا الفكر وقتلوا القادة الذي

حملوه، حتى أن الإمام الصادق نفسه قضى بالسم على يد المنصور العباسي، وقد قتل الكثير من حملة هذا الفقه.

وممن عرفوا بشهداء المذهب الجعفري:

الشهيد الأول محمد بن مكي الجزِّيني (شمس الدين)

- الشهيد الثاني زين الدين الجُبعي (900 ـ 965هـ) وقد تخطّت الحملة قتل الرجال والعلماء، إلى قتل الفكر نفسه، فعمدت السلطات إلى إبادة المؤلفات بين إتلاف وإحراق، وأكّدت كتب التاريخ، أن الجزَّار وحده أحرق أكثر من ثلاث عشر ألف مخطوطة صادرها من جبل عامل وأحرقها في أفران عكا، ثم فرضوا الحظر على الكتب الفقهية ومنعوها في البلاد الإسلامية.

ولكن رغم كل هذا الاضطهاد، فقد بقي فقه الأئمة والإمام الصادق محميَّةً ومصونة من الفناء، وظلت هذه التعاليم والتشريعات تسيطر، ويُستمد منها الفتاوى من سائر المذاهب.

الفصل العاشر

الإمام موسى الكاظم ﷺ

موسى الكاظم هو ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر ابن زين العابدين، ابن الحسين الشهيد، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد موسى الكاظم في الإيواء بين المدينة ومكّة سنة 128 هـ.

مدة إمامته:

موسى الكاظم هو الإمام السابع، وقد نصَّ على إمامته أبوه الإمام الصادق، وكانت مدة إمامته خمس وثلاثون سنة، قضى منها: بقية ملك المنصور ثم المهدي عشر سنوات، ثم الهادي مدّة سنة وشهر ثم هارون، وبعد مضي خمس عشرة سنة من حكم هارون الرشيد، مات مسموماً، ودفن في مدينة السلام في بغداد المعروفة بمقابر قريش وتسمى اليوم «الكاظمية».

موسى الكاظم والسجن:

عن الفضل بن الربيع وهو أحد وزراء الخليفة العباسي محمد المهدي، يقول ابن الربيع أن المهدي استدعى موسى الكاظم إلى بغداد خوفاً منه، ومن تكاثر شيعته وسجَنهُ، فرأى في منامهِ تلك الليلة أن عليّ بن أبي طالب يقول له: يا محمد ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: 22].

قال الربيع: فأرسل إليَّ ليلاً، فراعني ذلك فجئته، فإذا هو يقرأ الآية، وكان صوته حسناً وقال: عليَّ بموسى بن جعفر، فجئته به، فأجلسه إلى جانبه وقال له: يا أبا الحسن، إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النوم يقرأ عليّ هذه الآية.

ثم قال: هل تعاهدني أن لا تخرج عليَّ، أو على أحدٍ من أولادي، فقال الإمام الكاظم: والله لا افعل ذلك، ولا هو من شأني، قال: صدقت ثم قال للربيع: رُدَّه إلى أهلهِ في المدينة، فسرتُ به ليلاً، ولم يطلع الصباح إلى وهو في طريقه إلى[1] المدينة.

مؤلفات الإمام الكاظم عليه السلام:

- مسند الإمام الكاظم وقد جمعه موسى بن إبراهيم المرزوي.
- وصيته لهاشم بن الحكم وصفته للعقل.
- مجموعة من الحكم والأدعية.

كان الإمام موسى الكاظم مثل آبائه يجيب على أسئلة الناس بمختلف مذاهبهم، وكان يبادر ويحدِّث الناس ويدعوهم إلى التفقُّه وطلب المعرفة والحديث...

أقام الإمام الكاظم الإمامة الزمنية ومارسها بعفوية وقام بثورة سلمية، لم يجمع الجيوش، ولم يحمل السيف اعتمد على نشر الوعي بين الناس، ليعي الناس الحقيقة والمصلحة العامة بدون استئثار فردي أو قبليّ، ويعبِّروا عن حريتهم بالكلمة، وبالتصرف الحضاري، ودعا إلى إقامة القسط والعدل بعيداً عن العنف وإراقة الدماء، ولكن الرشيد العباسي ظلّ خائفاً منه فضيّق

---

(1) تاريخ بغداد، ابن خلكان، ابن الجوزي الفصول المهمة.

عليه وسجنه وكانت حجة الرشيد أن الإمام الكاظم يريد أن يفرِّق شمل المسلمين.

قال له الرشيد يوماً في مجلس عام:

لماذا تنتسبون إلى النبي ولا تنتسبون إلى عليّ ونحن أبناء عمومته؟

أجاب الكاظم: لو كان النبيّ بيننا وطلب إليك أن تزوجه ابنتك، هل كنت تفعل؟

فقال الرشيد: أزوّجه بكل فخر.

قال الكاظم: أما أنا فلا أزوجه لأنني ابنه، فبهت الرشيد.

قال هارون الرشيد للكاظم يوماً:

هل تريد «فدك» حتى أردّها إليك؟ فقال الإمام: آخذها بحدودها!

قال الرشيد: وما حدودها؟

قال الإمام: حدودها من عدن إلى سمرقند إلى أفريقيا والنيل وعريش مصر إلى البحر ودومة الجندل. قال الرشيد بعد أن تغيَّر لونه: لم يبق لنا شيء!

قال الإمام: إن فدك الكبرى، هي دولة الإسلام المغتصبة من فاطمة وأبنائها الأئمة والأوصياء. عند ذلك عزم الرشيد على قتل الإمام، وذهب إلى ضريح النبي وقال: «يا رسول الله إني أعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه فإني أريد أن أسجن موسى بن جعفر، لأنني خشيت أن يقيم بين أمتك حرباً تسفك فيها دماؤهم».

الرشيد الطاغية يعتذر من رسول الله، وقد تملَّك الخلافة هو وآباءه بالسيف والسوط والقهر والغدر.

فقه الإمام موسى الكاظم عليه السلام

أجمع المؤرخون، والكتّاب والمحدِّثون، أن الإمام الكاظم كان أفقه أهل زمانه وأعلمهم.

وقد شهِد بذلك الملوك وأعوانهم وكبار الفقهاء وأصحاب المذاهب.

نشأ الإمام الكاظم في رحاب الجامعة الفقهية التي أسسها الباقر والصادق عليهما السلام.

قال أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي الذي تتلمذ على يد الإمام الصادق، قال: دخلت المدينة فأتيت الإمام جعفر الصادق، فسلمت عليه، ولما خرجت من عنده، رأيت ابنه موسى في الدهليز أي (الطابق السفلي) وكان جالساً في مكتبه وهو صغير السن فأردت أن أمتحنه، فسألته: أين يضع الغريب حاجته إذا كان عندكم وأراد ذلك؟ فنظر إليَّ ثم قال: «يتوارى خلف الجدار، ويتوقَّى عين الجار ويجتنب شطوط الأنهار، وأفنية الدار، ومساقط الثمار، والطرق النافذة، والمساجد، ولا يستقبل القبله ثم يضع بعد ذلك حيث يشاء».

فلما سمعت هذا القول كبُر في عيني وعظُم في قلبي فقلت له جُعِلتُ فداك، ممن المعصية؟...

فنظر إليّ ثم قال: إجلس حتى أخبرك، فجلست فقال: إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربِّه، أو منهما جميعاً، فإن كانت من الرب فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويعاقبه بما لم يفعله، وإن كانت منهما جميعاً فهو شريكه، فالقوي أولى بأنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه يوجَّه النهي، وله حق الثواب والعقاب، ولذلك وجبت له الجنَّة أو النار، فلما سمعت ذلك قلت: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

تولّى الإمام الكاظم تفقيه الناس لمعرفة الخير والشر، وحرَّضهم على طلب الفقه، لأنه مفتاح البصيرة، يرقى بالإنسان إلى المراتب الجليلة وقبول الأعمال والعبادات. . .

قال لأصحابه: تفقهوا في دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة، والسبب إلى الترقي إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدنيا والآخرة.

وقال: «فضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على سائر الكواكب».

العلم:

الإمام المعصوم يكون أعلم أهل زمانه، ما سئل عن شيء إلا أجاب.

قال للرشيد متحدياً: أتريد أن تسألني سؤال متعلم أو سؤال متعنِّت؟ قال الرشيد: بل متعلِّم ولما أجاب عن أسئلة الرشيد قال له: أريد أن أسألك فقال هارون معترضاً: مثلي لا يُسأل!. .

قال الإمام: من وُلّيَ إماماً على هذه الامة يجب أن لا يُسأل عن شيء من أمور الدين والدنيا إلا ويجيب عنه، ثم سأله سؤالاً علمياً قال له أخبرني عن الخنفساء، تزق ام تُرضِع ولدها؟ فسكت الرشيد، قال الإمام: إن الله تعالى لما خلق الأرض لم يخلق حشرات الأرض من فرثٍ ولا دم، خلقها من تراب، وجعل رزقها وعيشها منه، فإذا فارق أمه، لم تزقَه، ولم ترضعه وكان عيشه من التراب.

أنواع العلوم:

قال الإمام الكاظم وجدت علوم الناس على أربع: أولها أن تعرف ربك (التوحيد) والثانية أن تعرف ما صنع بك، أو لك، والثالثة: أن تعرف

ما أراد منك، والرابعة: أن تعرف ما يُخرجك عن دينك (معرفة الحلال والحرام)

حثَّ أتباعه على طلب العلم وأوكل إليهم نشرهُ بين الناس. وقال لأحد أصحابهِ هشام بن الحكم: «يا هشام تعلَّم من العلم ما جهلت، وعلِّم الجاهل ما علمت، وعظِّم العالِم لعلمِه، ودع منازعته، وصغِّر الجاهل لجهلهِ ولا تطرده ولكن قرِّبه وعلِّمه».

قضى الإمام موسى الكاظم أيامه في سجون العباسيين وانصرف إلى العبادة صوماً وصلاةً وقراءة القرآن وتأملاً وتفقها، وقد كان أفقه أهل زمانه.

كان إذا سجد يراه الناس ثوباً مطروحاً من شدّة نحوله.

قال أحد علماء الصوفية: شقيق البلخي: خرجت حاجاً سنة 149هـ، فنزلت القادسية نظرت إلى شاب حسن الوجه ويلبس فوق ثيابه الصوف وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية، ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلّاً عليهم في طريقهم، والله لأمضينَّ إليه وأوبخنَّه فدنوت منه، فلما رآني مقبلاً نحوه قال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ثم تركني ووليَّ، فقلت هذا عبد صالح عرف ما في نفسي لألحقنه وأسأله الدعاء وإن يحلّلني مما ظننته به، فغاب عني ولم أره.

ثم شاهدته في مكان آخر، فبادرني وقال: يا شقيق: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ فقلت: هذا الفتى من الأبدال وقد تكلَّم عن سرّي مرتين، ثم رأيته مرّة ثالثة وبيده ركوة يستقي فيها الماء، فسقطت من يده في البئر فرمق السماء بطرفهِ ودعا، فرأيت الماء يرتفع إلى رأس البئر والركوة طافية، فأخذها مليئة بالماء، ثم رأيته في مكّة يطوف ليل نهار ويصلي، فسألت عنه فقيل لي: هو موسى بن جعفر.

هذه الحكاية رواها الجوزي والجنابذي والرامهريزي في كرامات الأولياء وابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة.

الزكاة والخمس:

كانت تصل أموال الزكاة والخمس إلى يد الإمام موسى الكاظم، ويوزعها على أصحابها، وكان الشيعة وحدهم يدفعون الخمس مع الزكاة، وسائر المسلمين يدفعون الزكاة فقط، وهي إثنان ونصف في المئة، واستمر الشيعة إلى اليوم يدفعون الخمس إلى إمامهم وفقهائهم ومؤسساتهم، وقد كان الإمام يدفع الأموال إلى الفقراء في المدينة، فصار الولاة يكتبون إلى الملوك العباسيين ويحذروهم من تأثير ذلك المال الذي يُدفع للفقراء، وكان الناس يتحدثون عن صِرار موسى بن جعفر، وهي أكياس ملأى بالدنانير يوزعها على مستحقيها، وقد عُرِفت بصرار[1] موسى...

لما تولى الإمام موسى الكاظم الإمامة بعد وفاة والده جعفر الصادق عام 148هـ، أرسل له أهل نيسابور مع محمد بن علي النيسابوري، ثلاثين ألف دينار، وخمسين ألف درهم وألفي[2] قطعة ثياب.

أولاده:

رأى الإمام الكاظم أن القتل استمرَّ في آل الرسول وبعد وفاته، فقُتل عليّ والحسن والحسين مع أولاده وأولاد إخوته في كربلاء، وقد وضع أبو الفرج الأصفهاني كتابه «مقاتل الطالبين» وذكر فيه المئات ممن قتلوا من آل البيت وشيعتهم دفاعاً عن الدين، ضد الطغاة والمارقين والقاسطين، اراد الإمام الكاظم أن يعوِّض ما فات من سلالة الرسول، فأنجب العشرات من

---

(1) أعلام الورى، الإرشاد.
(2) المناقب.

الأبناء والبنات، شكّلوا فيما بعد جيش الموسويين الذين توزّعوا في الأقطار الإسلامية حاملين نسب الرسول الذي تحدَّر إليهم من فاطمة الزهراء تعدّدت الروايات التي تشير إلى أعداد أولاد موسى الكاظم.

ذُكر في الإرشاد للمفيد: كان لأبي الحسن الكاظم سبعة وثلاثون ولداً من الذكور والإناث.

وذكر الجوزي: أن له عشرون ولداَ ذكراً وعشرون أنثى، وكان افضل أولاده هو «الإمام الرضا» وقد اشتهر بالعلم والفضل والكرم والشجاعة.

أصحابه:

كان للإمام موسى الكاظم جمهور من الأصحاب والرواة الثقات ممن رووا أخباره وأحاديثه ونالوا مرتبة الفقه، أشهرهم: المفضَّل بن عمر الجعفي ومحمد بن الفضل، وعليّ بن يقطين.. وغيرهم

صفاته:

كان الإمام الكاظم أعبد أهل زمانه وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً.

كان يتفقد الفقراء في المدينة ويحمل إليهم النفقات وهم لا يعلمون من أي جهة وصلتهم.

شجاعته: بعث الإمام الكاظم رسالة إلى الرشيد من السجن كتب فيها: «لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم لك من الرخاء، حتى نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، هناك لا يُخسر المبطلون».

أقواله: في برّ الوالدين

- «نظر الولد إلى والديه حباً لهما عبادة».

اقواله في الاقتصاد:

- ما عالَ امرؤٍ اقتصد.
- التدبير نصف العيش.
- قلة العيال أحد اليسارين.
- الله ينزل المعونة على قدر المؤونة.
- من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذَّر وأسرف زالت عنه النعمة.

عن الأمانة:

- الامانة والصدق يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق.

عن التواضع:

- التواضع آلة العقل، والتكبر آلة الجهل.

الإمام علي الرضا عليه السلام

عليّ الرضا هو ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر، ابن زين العابدين، ابن حسين الشهيد ابن علي بن أبي طالب، ثامن الأئمة الاثني عشر، وهو العلي الثالث.

ولد في المدينة المنورة سنة 153هـ، يكنى بأبي الحسن الثاني.

في عام 200 هجرية، وجّه المأمون أحد وزرائه، «رجاء بن أبي الضحاك» لإحضار عليّ بن موسى الرضا من المدينة إلى خراسان وجعله وليّ العهد للمسلمين والخليفة من بعده ولقَّبه الرضا من آلا محمد، وأمر جنده بطرح السواد، ولبس الثياب الخضر، وكتب بذلك إلى جميع البلاد الإسلامية، ثم زوجه إبنته أم حبيب، سنة 202 هجرية[1].

رفض العباسيون بيعة الإمام الرضا بولاية العهد فثاروا ضد المأمون في بغداد، وبايعوا إبراهيم المهدي بالخلافة، وكتم الفضل بن سهل وهو وزير للمأمون هذه الأخبار عنه، ولكن الإمام الرضا أطلعه عليها.

---

(1) أعلام الورى، عيون أخبار الرضا، الكامل، الطبرسي في الاحتجاج، الصدوق.

ولما بايع أهل بغداد إبراهيم المهدي سمّوه الخليفة السنّي، واتهموا المأمون بأنه رافضي، بسبب تقرُّبه من عليّ الرضا.

وقد خطب المأمون ابنته الثانية الصغرى أم الفضل من محمد الجواد وكان صغيراً في العمر.

وحجَّ بالناس في تلك السنة إبراهيم بن موسى الكاظم، ودعا لأخيه الرضا بعد المأمون.

قال إبراهيم بن العباس الصولي:

«ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا، وشاهدت منه ما لم أشاهد من أحد.

ما رأيته جفا أحد بكلامه ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما وردّ أحد عن حاجةٍ يقدر عليها، وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس إلى جانبهِ مواليه ومماليكه حتى البوّاب والسائس فمن زعم أن أحداً رأى مثله من فضله فلا تصدقوه[1].

علومه:

كان الإمام الرضا قبل أن يصبح ولياً للعهد، يقيم في مسجد رسول الله بالمدينة حيث يجتمع الفقهاء وطلاب الفقه ويخوضون في المعارف العديدة وفي الأمور الفقهية من حلال وحرام، وإذا أخطأوا صوَّب لهم الرضا، وإذا عجزوا قالوا: إسألوا فقيه آل محمد، فيجيب على أسئلتهم.

وكان المأمون يرسل له ويمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب الجواب الشافي.

---

(1) أعلام الورى.

لما رحل إلى خراسان وأقام مع المأمون سنة 200 هجرية.

تحوّلت «مرو» إلى مجالس للمناظرات والندوات الفكرية، في بلاد كانت المجوسية ما تزال فيها حاضرة إلى جنب الملل القديمة، وقد أسلم الفضل بن سهل وهو أهم أعوان المأمون، وقد كان مجوسياً.

كان الإمام الرضا يستخدم الحجَّة العقلية والكلامية والقرآنية.

من الأسئلة التي كان يسألها المأمون للإمام الرضا: يا بن رسول الله، أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال الإمام: بلى، قال المأمون: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121].

أجاب الإمام: إن الله تبارك وتعالى لما اجتبى آدم وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة وقد أكل من الشجرة قبل أن يُبعث نبياً، والمعاصي الصغيرة تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، وهي لا تعتبر معصية لله تعالى، لكنها ترك للنصيحة والتوصية، لأن الله عز وجل قال: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وهي ترك المندوب من الفعل المكروه.

وسأل المأمون الإمام الرضا عن النبيّ إبراهيم عندما رأى كوكباً، وقال: هذا ربي؟ ولما أفلَ قال لا أحب الآفلين.

أجاب الإمام الرضا، بأن قول إبراهيم هو تساؤل وإنكار واستخبار، لأن الأفول عن صفات المحدث وليس من صفات الربّ الأزلي القديم... إن إبراهيم كان يحتج على الذين عبدوا الشمس والقمر والنجوم ويريد أن يبيّن لهم أن عبادتهم باطلة، وأن العبادة الحقة هي لخالق السماوات والأرض.

وقد سأل المأمون عن عصمة موسى وكان قد قتل نفساً وقال وقال إن هذا من عمل الشيطان: وتقول الآية عن لسان موسى فعلتها وكنت ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي أن موس كان يقصد الدفاع عن المظلوم، وعندما فعل ذلك

كان فتى في الثامنة عشر من عمرهِ ولم يكن قد بُعث نبيّاً وأجاب الإمام الرضا عن قصة يوسف، بأن المعصوم قد يهمّ بالمعصية ولكن لا يقوم بها، وكان يوسف قد فعل ذلك قبل أن يصبح نبيّاً.

أجاب الإمام الرضا عن الإشكاليات، فعلَّل وفسَّر وشرحَ وناقشَ مما يكشف عن مقدرةٍ عالية في امتلاك أسرار اللغة وغرائبها.

ولاية العهد:

إن قضية ولاية العهد من القضايا المهمة في الحياة السياسية للإمام الرضا، ولدراسة هذه القضية ينبغي التحقيق في التاريخ الإسلامي وتاريخ بني أمية وكيفية وصول العباسيين إلى الخلافة.

لقد كانت الأوضاع العامة للبلاد الإسلامية حتى عام 203 للهجرة، أوضاع مضطربة، وقد ظهرت الكثير من الثورات ذات الطابع الديني ضد الحكم الأموي الظالم، وكان الجميع يعقدون الأمل على أولاد عليّ المعروفين آنذاك بأهل البيت، وباحقاق الحق والعدل والمساواة، فاستغلَّ العباسيون هذه الرغبة والأمل والحب لأهل البيت وجيّروا ذلك لصالحهم، وتظاهروا بأن ثورتهم إنما هي للتخلص من التعسف والظلم الأموي وإعادة الحق إلى أهله تحت شعار «الرضا من آل محمد» ولكن بعد أن استقرت الخلافة للعباسيين نقضوا عهودهم وعمدوا إلى إيذاء العلويين وحبسهم وقتلهم، فسخطت الأمة على العباسيين نتيجة أعمالهم الشنيعة التي ارتكبوها ضد أولاد عمهم وتبلورت على شكل حركات تمرد ضد نظامهم الحاكم، وقد انتشرت الفوضى والاضطرابات قبل عهد المأمون وبعده وحدثت الكثير من الثورات الموالية لآل عليّ في أكثر الولايات والمدن، ولذلك قرَّر المأمون القيام ببعض الأمور للتخلص من تلك الإضطرابات، شاور المأمون أعوانه ووزراؤه وخاصته ووزيره الفضل بن سهل، فاستقر رأيه على إحضار

الإمام الرضا إلى «مرو» وإعطائه منصب ولاية العهد لإطفاء ثورة العلويين، لأن الإمام الرضا هو سيد العلويين، فينصرفون عن الثورة وعن الطمع بالخلافة.

رفض الإمام وقد أدرك أن العباسيين لن يتخلوا عنها، وكان يعلم أن المأمون قتل أخاه الأمين من أجل الملك، لذلك تجنَّب الإمام الرضا سفك الدماء من أجل الحكم، ولم يكن الملك هدفاً له وغاية، إنما هداية الناس وحياتهم وسعادتهم لا قتلهم، تلك رسالة الأنبياء والأوصياء، ولكن المأمون أصرَّ على ولاية العهد للرضا.

شرَطَ الإمام لقبول ولاية العهد أن لا يتخذ القرارات في تولية الولاة وعزلهم أو إصدار الأحكام لما فيها من ظلم وتجاوز لأحكام الشرع الإلهي، فهي قرارات تصدر عن ملك ظالم غير معصوم يصيب ويخطىء، ولكن الإمام قبِلَ بإصدار الفتاوى التي تصحح المسار وتقيم العدالة.

عمل الإمام الرضا على نشر الإسلام محاضراً ومناظراً ومجادلاً أهل البدع، وقد كانت كلمته أكثر قبولاً لدى الأمة لأنها صادرة عن إمام معصوم.

بعد المبايعة كتب المأمون بخطِّهِ عهداً للرضا عليه السلام وشهد عليه الوزراء والقادة والقضاة.

عوامل بيعة الإمام الرضا عليه السلام

اختلفت الروايات في ذكر الأسباب التي حملت المأمون على بيعة الإمام الرضا عليه السلام وإخراج الخلافة من العباسيين إلى آل البيت بدون إراقة دماء، وإعادتها إلى شرعيتها التي نصَّ عليها النبي صلى الله عليه وآله في حجَّة الوداع في غدير خم، وكان العباسيون قد أراقوا دماء عشرات الآلاف من المسلمين

حتى نالوها وقد تعددت الأقوال التي تقول بإخلاص المأمون، وبين من يقول بغدره.

ـ منهم من قال أن المأمون انكشف له أحقية أهل البيت وأن الخلافة منذ بيعة الغدير هي لعلي وأبنائه المعصومين، وقد ذكرهم النبيّ باسمائهم، وليس من الغريب أن يهتدي المأمون إلى الحق وهو صاحب بيت الحكمة المشجِّع على العلوم والمعرفة والآداب، وقد قرأ التاريخ الإسلامي فاكتسب معلومات أضاءت بصيرته، حتى أنه تجرأ على عمر بن الخطاب وانتقده عندما حرَّم المتعتين وقال فيه ما قال وقد أشار الإمام الرضا في خطبة المبايعة إلى هذا الاتجاه، إذ قال عن المأمون:

«عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت...».

وصارت الجماهير تهتف المأمون شيعيّ بني العباس.

ـ وقد يكون أحد هذه الأسباب هو الوفاء بالنذر وهو: أن المأمون روى حكاية أخيه الأمين عندما حاربه وتغلب عليه وقيّده بالقيد وجعل الجامعه في عنقه (السلسلة) وقال: لم يكن لي قوَّة ولا مال أتقوى به، ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن.

فلم أجد وجهاً أفضل من أن أتوب إلى الله تعالى من ذنوبي وأستجير به، وعاهدته عهداً وثيقاً بنيَّة صادقة، إن أفضى إليَّ هذا الأمر وكفاني عادية الأمور الصعبة، أن أردَّ هذا الأمر إلى موضعهِ الذي وضعه الله فيه، ولمّا أعانني الله وأفضى إليَّ بهذا الأمر وقد استوى لي، أحببت أن أفِ بعهدي إلى الله فلم أرى أحداً أحق بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا عليه السلام فوضعتها[1] فيه.

وقال المأمون لأحد وزرائه: (الريّان) إذا حضر الناس والقواد حدثهم

---

(1) عيون أ خبار الرضا.

بفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال الريان لم أسمع حديثاً أحسن مما سمعته منك.

وروى الريان عن المأمون عن آبائه عن رسول الله: قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» والحديث الذي يقول فيه الرسولﷺ: «علي مني بمنزلة هارون من موسى» لقد وفى المأمون بنذره وكان عارفاً لفضل عليّ وأهل بيته الأئمة المعصومين».

جوامع الشريعة:

بعث المأمون الفضل بن سهل إلى الرضا وقال له: أحب أن تجمع لي من الحلال والحرام والفرائض والسنن فإنك حُجَّة الله في خلقه.

دعا الإمام الرضا عليه السلام بدواة وقرطاس وقال للفضل أكتب، وأملى عليه رسالته في جوامع الشريعة وهي رسالة اعتمد فيها الإمام الرضا على أسلوب القرآن الكريم، كانت المعلومات فيها واضحة تدخل القلوب، فيهتدى من شاء الله له الهداية، فكتب الفضل بن سهل:

في العقيدة:

1 ـ **التوحيد**: الله واحد أحد، لا شريك له، صفاته وأسماءه الحسنى: عدل، قيوم، عالم، سميع، قادر، خالق...

2 ـ **النبوّة**: محمد عبد الله ورسوله، خاتم الأنبياء، التصديق بجميع الأنبياء والرسل الذين مضوا قبله.

3 ـ **القرآن**: التصديق به، وبأنه حق من الفاتحة إلى الخاتمة: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ نؤمن بمحكمه ومتشابهه بوعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وأنه معجزة خالدة أبدية.

4 ـ **الإمامة**: تقوم بأمور المسلمين بعد النبوَّة والإمام عليّ هو خليفة محمد ووصيه، وأولاده أئمة الهدى الحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولد الحسين هم الخلفاء من بعده.

صفات الإمام: الورع والعفة والصدق والصلاح والإجتهاد، والعلم، واستجابة الدعاء.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «إن الله عز وجل قد أيَّدنا بروح منه مقدسة مطهرة، ليست بملِك من الملائكة، ولكن إلهام من الله تُسدِّد الأئمة وتوفقهم والإمام لا يكون باختيار الناس، بل باختيار إلهي، ولكن الناس رغبوا عن عن اختيار الله ورسوله إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68].

إن العبد إذا اختاره الله لأمور عبادهِ، شرح صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعِ بعدُه بجواب ولا يحيد عن صواب، وهو معصوم مسدَّد، ليكون حجّته على عباده.

الاحتجاج العقلي:

تصدّى الإمام الرضا عليه السلام لمثيري الشبهات في الإسلام، معتمداً منهجية المواجهة الكلامية، التي تستند إلى أحكام العقل، ولا سيما في أعمال الجبر والإختيار، والتفويض، والحجَّة العقلية.

سأل ابن السكيت الإمام الرضا: ما الحجَّة على الخلق اليوم؟ فقال الإمام: العقل، يُعرف بهِ الصادق على الله، فيصدّقه، والكاذب على الله فيكذّبه».

سُئل الإمام: أيكلِّف الله العباد مالا يطيقون؟

قال: هو أعدل من ذلك.

وتابع السائل: هل يقدرون على فعل كل ما يريدون؟

قال الإمام: هم أعجز من ذلك.

وسأله الفضل بن سهل في مجلس المأمون، قال: يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟

قال الإمام: إن الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذِّب، قال الفضل: هل هم مطلقون يفعلون ما يشاؤون؟

أجاب الإمام: الله تعالى أحكم من أن يُهمل عبده ويكِلُه إلى نفسه. ثم قال له: لا تقل بالجبر ولا بالتفويض، والله يغفر ولا يظلم، ولا يفرض على العباد طاعة من يظلمهم، ولا يعذب الأبناء بذنوب الآباء، ويقول عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164].

سُئل الإمام الرضا عن الإمامة فقال:

«أمر الإمامة من كمال الدين» وقد أنزل الله فيها قرآناً في حجّة الوداع، وقال الله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 5].

كان ذلك بولاية عليّ، ولا يجوز في الإمامة الاختيار البشري، فهي مثل النبوّة اختيار إلهي.

وقد خصَّ الله إبراهيم الخليل بعد النبوّة بالإمامة، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 174].

لقد أبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في

الصفوة، فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى محمد، وقلَّدها النبي عليّاً، فصارت في ذرية الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان.

الإمام من البشر يأكل ويشرب، ويفرح ويحزن، ولكن هو أعلم الناس وأتقاهم وأشجعهم وأعبدهم وهومؤيد بروح القدس، وبينه وبين الله عمود من نور يضيء الحقائق، ويصحّح الإنحراف، ويقيم حدود الله، ويذبُّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة[1] البالغه.

حديث السلسلة الذهبية:

لما دخل الإمام الرضا مدينة نيسابور في طريقه إلى مرو، كان في قبة مستورة على بغلة شهباء فلقية الإمامان الحافظان للأحاديث النبوية، ابو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما خلائق لا تحصى من طلبه العلم، وأهل الحديث والرواية، فقالا: أيها السيد الجليل بحق آبائك إلا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك، ورويتّ لنا حديثاً عن آبائك، وعن جدك محمد ﷺ نذكرك به.

فاستوقف البغلة، وأطلَّ على الجماهير، و«هم بين صارخ وباكٍ» وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة والعلماء والفقهاء: معاشر الناس، اسمعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم.

فقال الإمام الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه عليّ زين العابدين، عن أبيه الحسين الشهيد كربلاء، عن أبيه علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ قال: حدثني جبرائيل وقال: سمعت رب العزّة سبحانه وتعالى يقول: «كلمة

---

(1) تحف العقول.

لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمِنَ عذابي» ثم أرخى الستر على القبة وسار.

وكان عدد الذين يكتبون الحديث ويزيدون عن عشرين ألفاً، ولما وصل هذا الحديث إلى بعض الأمراء السامانية، كتبه بالذهب وأوصى أن يدفن[1] معه».

وفاة الإمام الرضا عليه السلام

ذكر أبن الأثير عن وفاة الإمام الرضا فقال:

توفي الإمام الرضا عام 203هـ، وكانت وفاته بمدينة طوس.

ولما توفي الإمام الرضا، كتب المأمون إلى الحسن بن سهل يُعلِمهُ موت عليّ بن موسى الرضا، وما دخل على المأمون من المصيبة في موته، وكتب إلى أهل بغداد وبني العباس والموالين لهم يُعلِمهم بموته، وأنهم قد نقموا بيعته فها هو قد مات.

وقيل في بعض الروايات أن المأمون أمر بدس السم في العنب، بعد أن أغرى به أعداء الرضا من العباسيين، فكادوا له عند المأمون الذي دبَّر اغتيال الرضا بالسم، وهناك فريق من الشيعة ينفون هذه التهمة عن المأمون.

---

(1) المناقب، تحف العقول الفصول المهمة.

الفصل الثاني عشر

الإمام الجواد عليه السلام

الإمام التاسع، محمد الجواد ابن عليّ الرضا، ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر، ابن عليّ زين العابدين، ابن الحسين، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد في المدينة في رجب سنة 195 هجرية مدَّة إمامته 17 سنة، بدأت في عهد المأمون وانتهت في عهد المعتصم.

تولى الإمام الجواد الإمامة وهو صبياً، وقد سأل البعض عن ذلك، فقال لهم: «إن الله احتجَّ على الناس بالإمامة، كما احتجَّ عليهم في النبوّة: فقال عن يحي ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم : 62].

أخذ الإمام الجواد الفقه عن والده، وروى الحديث النبوي بسلسلة أهل البيت وقد امتلأ علماً في سن مبكرة.

طلبه المأمون إلى بغداد فأتاها، أقام المناظرات مع أهلها بحضور العباسيين وقد زوَّجه المأمون ابنته زينب (أم الفضل) بعد أن رحل الإمام الرضا إلى خراسان بدعوة من المأمون، وترك ابنه الجواد في المدينة، لحق الجواد بأبيه قبل وفاته بعدة شهور، وقد سلَّمه أسرار الإمامة وكان المأمون قد شُغف وأُعجب بالإمام الجواد مع صغر سنه، وبلوغه وتفوقه في العلم والحكمة، والأدب وكمال العقل ما لم يساوه أحد في ذلك الزمان.

يروى أنه لما وصل الجواد إلى خراسان (طوس) وبينما كان مع أصحاب له، يتعرف على طوس مرَّ المأمون مع حاشيته ذاهباً إلى الصيد، ففرَّ الصبية وظلَّ الجواد واقفاً، فسأله المأمون: لماذا لم تفر كما فرَّ أصحابك؟ قال له الجواد: لم أكن مذنباً لأفرّ، ولم يكن الطريق ضيقاً لأوسعه لك...

فسأله المأمون من أنت؟ أجاب محمد بن عليّ الرضا، فقال: المأمون! ما تعرف من العلوم؟ قال: سلني عن أخبار السماوات.

أكمل المأمون رحلته إلى الصيد، وعندما عاد استدعى الجواد، وصار يسأله ويختبر فقهه، واعجب به، واقام له مناظرة مع العلماء والفقهاء فأجاب عن ثلاثين ألف مسألة في مجالس متفرقة تشكل بمجموعها كتاباً تشريعياً قائماً بذاته... بعدها تزوج الجواد ابنة المأمون وعاد إلى المدينة حوالي سنة 206 هجرية ولكن ابنة المأمون لم تنجب له أولاداً، فتزوج الجواد «سمانة المغربية وقد ولدت له الهادي وثلاثة أولاد آخرين.

ظلَّ الإمام الجواد في المدينة حتى عام 220 عندما استقدمه المعتصم خوفاً لما ورد عنه من إقبال الناس على مجالسهِ العلمية.

زواج الإمام من ابنة المأمون العباسي:

أحبَّ المامون آل البيت، ومال إليهم فجعل الإمام الرضا ولياً للعهد، ولكن العباسيين ثاروا على المأمون وتمسكوا بالملك، وقالوا:

الخلافة لنا وقد خصَّنا الله بها، وكانت مقاليد الأمور بيدهم، وقد تخلَّصوا من الإمام الرضا بالسم، اختلف الرواة فيمن دسَّ له السم قالوا المأمون، وقالوا العباسيون، ثم ها هو المأمون يعيد الكرّة مع الإمام الجواد ابن علي الرضا، فقد استقدمه من المدينة وزوَّجه ابنته أم الفضل،

وخشي العباسيون أن ينتهي الأمر بولاية العهد للجواد، فاجتمع الملأ منهم وقالوا للمأمون: ننشدك الله أن لا تقدم على هذا الأمر من تزويج ابنتك إلى الإمام الجواد، اصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل إلى ما تراه من أهل بيتك يصلح لذلك، وقد عرفتَ ما بيننا وبين آل عليّ من عداوة.

قال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو انصفتم القوم لكان أولى بكم، أمّا ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، أعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف أبي الحسن الرضا، وأما بالنسبة للجواد فلقد اخترته لأنه أفضل من كافة أهل الفضل، في العلم والمعرفة والأدب مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وارجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فليعلموا أن الرأي ما رأيت فيه.

تابع العباسيون اعتراضاتهم قائلين: إن الجواد صغير السن، لا علم له ولا معرفة، دعه يتفقّه ثم اصنع ما تراه مناسباً بعد ذلك.

قال المأمون: كأنكم تشكّون في قولي فإن شئتم اختبروه أو أدعوا من يختبره، ثم بعد ذلك، لوموا أو اعذروا قالوا: فليكن ذلك بحضورك، فإن أجاب وأصاب، ظهر ذلك للخاصة والعامة، ولم يكن لنا اعتراض، وإن عجز كُفينا. وافق المأمون وقال: شأنكم ذلك متى أردتم.

أجمع العباسيون على قاضي القضاة «يحي بن أكتم» وقد وعدوه بأشياء كثيرة إن سأل الجواد عن مسائل عويصة ليحرجوه فيخرجوه عيَّن لهم المأمون موعداً فاجتمعوا في ذلك اليوم لمساءلة الجواد وحضر خواص الدولة وأعيانها وأمرائها وقوادها وحجَّابها، وكان حضور هؤلاء الطغاة وحده يكفي لإرهاب الفتى وقد اجتمعوا عليه، وكان يحيى بن أكتم قاضياً مشهوراً بانحرافه عن الحق، سيرته في تاريخ بغداد يندى لها الجبين كان

يُصدر الأحكام بالسجن والقتل على آل الرسول بأمر من العباسيين، وكانوا قد حكموا العالم باسم النبي محمد ﷺ. وقتلوا ذريته وأبناءه واحداً واحداَ.

جلس الإمام الجواد إلى جانب المأمون وجلس يحيى بن أكتم مقابلاً لهما، ثم بدأ بن أكتم يسأل مسائل كان قد أعدَّها، فأجاب الجواد بأحسن الأجوبة، وأبان فيها وجه الصواب بلسان فصيح ووجهٍ طلق، وقلب جسور، ومنطق سديد، فعجب القوم من فصاحته وحُسن منطقه.

كان آخر الأسئلة التي سألها يحيى بن أكتم: ما تقول في مُحرِمٍ قتل صيداً؟

اندفع الجواد وأمطر القاضي بعددٍ من الأسئلة أخرسته وصحَّحت علمه قال الجواد: قتله في حلٍّ أو حرم؟ عالماً كان أم جاهلاً؟ قتله عمداً أم خطأً؟ حراً كان المحرم أم عبداً، صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدأً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الطير أم كن كبارها؟ مصرّاً على ما فعل أم نادماً؟ في الليل قتله أم في النهار؟ مُحرِماً كان بالعمرة أم بالحج؟ أحد عشر سؤالاً يرتبط بمحرمٍ قتل صيداً».

تحيَّر يحيى بن أكتم، وبان في وجهه العجز، واكتشف الحاضرون أمره فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى جماعة العباسيين وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تُنكرون عليّ؟ ثم اقبل على الجواد وقال له: أخطب يا أبا جعفر لنفسك فقد رضيت أن تكون زوجاً لابنتي أم الفضل وإن رُغِم قوم لذلك.

فلما كان الغد جاء القواد والحجَّاب والوزراء لتهنئة المأمون وأبي جعفر.

وبعد أيام التبريكات سار الإمام الجواد إلى المدينة ومعه زوجته أم الفضل والناس يشيعونه، وأقام فيها لتدريس الناس ومواجهة قضايا كبرى تحتاج إلى فتاوى ظلَّ الإمام الجواد في المدينة إلى أن تولى المعتصم الخلافة، فاستقدمه إلى بغداد وأدركته الوفاة بعد أن دُسَّ له السم ودفن مع جده الكاظم في عام[1] 220 للهجرة.

إشكالية خلق القرآن:

كانت الصراعات حادة بين الفرق الإسلامية فيما يختص بعض القضايا، مثل: ا لخلافة والعصمة والإمامة والتجسيم، التفويض والجبر، وخلق القرآن وقِدَمه.

هذه العناوين أدّت إلى خلافات جرت فيها الدماء.

إن قضية خلق القرآن وقِدَمه، أدَّت إلى صراعات بين المعتزلة والأشاعرة، وقد ناصر المأمون العباسي بالقول بخلق القرآن واضطهد المخالفين لرأيه، وسجن بعضهم وجلَّدَ البعض الآخر، وتابعه أخوه المعتصم الذي كان يمتحن الناس بخلق القرآن ومعاقبة المخالفين، وانقسم الناس فرقاً وشيعاً حول هذه الإشكالية.

رأى الإمام الجواد، أن الحديث في المسألة يؤدي إلى تمزيق الأمة، فنصح أتباعه بتجنُّب هذه النقاشات المؤذية، وكتب إلى بعض شيعته في بغداد يقول لهم: بسم الله الرحمن الرحيم.

«عصمنا الله وإياكم من الفتنة، فإن يفعل فأعظم نعمة، وأن لا يفعل فهي الحكمة، نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلَّف المجيب ما ليس عليه،

---

(1) هناك تفاصيل كثيرة ذكرها المؤرخون: الطبري والمسعودي وغيرهم ولكن أردنا الاختصار

ليس الخالق إلا الله عز وجل، وما سواه فهو مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له إسماً من عندك فتكون من الظالمين، جعلنا الله وإياكم من الذين يخشون ربهم وهم من الساعة مشفقون.

الفصل الثالث عشر

الإمام علي الهادي عليه السلام

الإمام عليّ الهادي هو ابن محمد الجواد، ابن علي الرضا ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر، ابن علي زين العابدين، ابن الحسين السبط، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

المكاتبات

توجّه الإمام عليّ الهادي إلى كتابة الرسائل وهي أبحاث تُفصِّل قضايا الشبهات التي كانت سائدة في المجتمع، كان يكتب هذه الرسائل ويرسلها إلى أصحابه في العواصم الإسلامية، لإيضاح الأمور للناس، وكانت حُججه واضحة وبيّنة.

كان يشرح حقيقة الإسلام، ونظرته الجليَّة لهذه الآراء والمعتقدات، واصبحت هذه الرسائل مدرسة فقهية تنتقل في الأقطار، تذهب إليهم في عواصمهم تناقشهم وتكشف لهم التأويلات، وترفع الشبهات...

من رسائل الإمام الهادي، ما كتبه إلى أهل الأهواز، وقد ظهرت بينهم فرق الجبرية والمفوِّضة، وقد فصَّل لهم الإمام الهادي قضية الجبر والتفويض وقال إن الجبر: هو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى والجبرية فرقتان هما: الأشعرية والجهمية، ولكن الأشعرية لا يؤمنون بالجبر المطلق وتعطي للعبد نصيب من الفعل، أما الجهمية فيؤمنون بالجبر المطلق.

الإستدلال والبرهان:

الجبر والتفويض: وضع الإمام الهادي، ثوابت للبرهنة باعتماد الآثار والتنسيق مع العقل.

الآثار والأخبار: إما حق يتَّبع، وإما باطل يُجتنب، وهذا ما يقرُّه العقل، فجميع المسلمين يعتقدون أن القرآن الكريم حق لا ريب فيه وقد اجتمعوا على تصديقه.

والتشريع: مأخوذ من القرآن والحديث النبوي، ومن العترة النبوية..

إن من ينكر ما يؤكده القرآن يخرج عن الملّه.

وفي الحديث النبوي: أول خبر عن الولاية يُلتمس من قول رسول الله:

وقد قال: «وإني مخلِّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض[1]».

ويقول لعليّ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي.

ويقول: عليّ يقضي ديني، وينجز موعدي وهو خليفتي من بعدي».

والأخبار والشواهد تؤكد: أن أقوال آل الرسول متصلة بقول الله، وعلى المسلمين أن يأخذوا بها.

وقد قال الإمام الصادق: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزله بين المنزلتين».

---

(1) الاحتجاج.

وقد فسّرها الإمام الهادي بالقول:

- إن صحة الخِلقه، وكمال الحواس، وثبات العقل، والقدرة على النطق.

هذه المواهب كلها التي أعطيت للإنسان تجعله قادراً على القيام بما كلَّفه الله بهن وإذا حُرِم الإنسان حاسَّة من حواسه، رفع عنه العمل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: 6].

لذلك فإن الله يحاسب العبد على ما يستطيع أن يقوم به وليس عليه إلا أن يمتلك الإرادة، فالإنسان ليس مجبراً ولا متروكاً، ولكنه يختار ويتحمل مسؤولية اختياره.

المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية:

شرح الإمام الهادي مضامين الآيات القرآنية، معيداً العلاقة بين الدنيا والآخرة، فقال: إن الله جعل ا لدنيا دار ابتلاء، والآخرة دار الجزاء والثواب.

وقال عن مفهوم الشكر:

«إن الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأن النعمة متاع الحياة الدنيا، والشكر نعمة باقية خالدة، إن النعمة المادية لا تستطيع أن تسمو إلى روحية الثمن المعنوي، فالشكر ينزع الأنانية من أعماق الشاكر، ويعيدها شكراً يحمل السعادة للنفس، فالشاكر يربح مرّتين، يربح النعمة المادية ويربح الإيمان والعاقبة الحسنة في الآخرة ومن أقواله:

. «الغنى هو قلَّة ما تمنيك والرضا بما يكفيك».

وأن معنى الآية: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النمل: 97] هي القناعة.

وقال عن عقوق الوالدين:

- «العقوق هو ثكلُ لمن لم يُثكل».

أي أن صدمة الوالدين بعقوق الولد هي كصدمة الثُكل وفقدان الولد، وتكون حالة الأم أو الأب، كمن تبلَّغ خبر موته.

وقال عن العتاب: «العتاب مفتاح التصافي ونزع الحقد من القلب.

- وقال عن المصيبة: «المصيبة للصابر واحده وللجازع اثنتان».

الإمام الهادي والمتوكل:

استدعى المتوكل العباسي الإمام الهادي وكان كارهاً لأهل البيت ويحب أن يؤذيهم وينكِّل بهم.

دخل الإمام الهادي إلى مجلس المتوكل ورآه يشرب الخمرة وفي يده كأس منها فقال له المتوكل إشرب وناوله الكأس، فقال الإمام: والله لم يخالط لحمي ودمي قط فاعفني، فقال له أنشدني شعراً أستحسنه، فاعتذر الإمام، ولكن المتوكل ألحَّ عليه، وقال له: لا بد أن تنشدني، فأنشده أبياتاً من الشعر قال فيها:

باتوا على قِلل الأجبال تحرسهم ... غُلب الرجال فما أغنتهم القِللُ
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأودعوا حُفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما قُبروا ... أين الأسرّةُ والتيجان والحُللُ
أين الوجوه التي كان منعَّمةٌ ... من دونها تُضرب الأستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
وطالما عمَّروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وارتحلوا
وطالما كنزوا الأموال وأدخروا ... فخلَّفوها على الأعداء وانتقلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فبكى المتوكل حتى بُلَّت لحيته وبكى من حضر ثم أمر برفع الشراب.

الفصل الرابع عشر

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

الإمام الحسن ابن عليّ الهادي، ابن محمد الجواد، ابن علي الرضا، ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر، ابن زين العابدين، ابن الحسين الشهيد، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد في المدينة المنورة، غادر مع والده الإمام الهادي إلى مدينة عسكر (سامراء) بعد ان استدعاه الخليفة المتوكل العباسي إليها..

عاش مع أبيه في سامراء عشرون سنة حيث استلم الإمامة بعد وفاة الإمام الهادي وله من العمر اثنان وعشرون سنة، وقد استمرت إمامته مدة ست سنوات، عايش خلالها ضعف السلطة العباسية وسيطرة الأتراك على مقاليد الحكم وهذا الأمر لم يمنع من تزايد الضغط العباسي عليه حيث ترددَّ إلى سجونهم عدة مرات وخضع للرقابة المشدَّدة، وأخيراً محاولة البطش به بعيداً عن أعين الناس والتي باءت بالفشل، ولكن الحسن العسكري استطاع أن يجهض كل المحاولات لأن أتباع السلطة كانوا يحترمونه ويتحولون من خلال قربهم له إلى محبين له وموالين فيحرصوا على سلامته، وقد استطاع أن يفرض احترامه على الجميع، مثل عبيد الله بن خاقان الوزير العباسي الذي قال: لو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها أحد غير الإمام حسن العسكري وقد أوهم الإمام العسكري السلطة بعدم الخروج عن سياستها، ليدفع عن أصحابه الضغط والملاحقات التي كانوا يتعرضون لها، ولكنه لم يعطي السلطة الغطاء الشرعي.

كان الإمام العسكري يمارس دوره الرسالي التوجيهي والإرشادي،

ويشجع أصحابه على إصدار الكتب والرسائل بالموضوعات الدينية، ويتصدى للمشككين وإبطال افكارهم، وعمل على إمداد تدعيم قواعده ومواليه بكل مقومات الصمود والوعي حول نهج أهل البيت، وبذلك استطاع الحسن العسكري أن يكسر الطوق العباسي من حوله ويوصل أطروحة الإسلام الأصيل إلى قواعده الشعبية ويُجهض محاولات السلطة ويُسقط أهدافها.

وفاة الإمام حسن العسكري عليه السلام:

روى الطبرسي وقائع وفاة الإمام العسكري وهذه الوقائع تثير الشبهات حول أسباب الوفاة، من إحضار القادة، ومراقبة المنزل لأيام، والتشدد في الإجراءات، وحضور الوزير ابن خاقان، وقاضي القضاة والأطباء وعشرة شهود على الوفاة بأنها كانت عادية، فهذه التصرفات المشبوهة تؤكد دسّ السم للإمام لإنهاء الإمامة المعصومة وقد بكّروا في قتله وهو في الثامنة وعشرون عاماً من عمره، وكانت السلطات تراقب منزل الإمام لمعرفة من يخلفه في الإمامة، وكان قد حجب ولده الوحيد محمد المولود 255 هجرية، عن الناس خوفاً عليه من العباسيين الذين كانوا جادّين في إنهاء الإمامة المعصومة.

ومع وفاة العسكري بدأت الغيبة الصغرى للإمام المنتظر، وكانت وفاته في سنة 260 هجرية.

الإمام العسكري هو الإمام الحادي عشر وقد نصَّ والده على إمامته.

مؤلفاته:

1 ـ تفسير القرآن للإمام العسكري رواه الصدوق.

2 ـ رسائل موقَّعة باسمه بعثها إلى أصحابه تتضمن أحكاماً شرعية.

3 ـ مجموعة حكم ومواعظ.

4 ـ رسالة المنقبة تضمنت علم الحلال والحرام من وصيته للمؤمنين، قال:

«عليكم بالصبر وانتظار الفرج فإن النبي ﷺ قال: «أفضل أعمال أمتي إنتظار الفرج».

ترك الإمام العسكري بعده ابنه الحجَّة المنتظر المهدي وهو ابنه الوحيد الذي سيقيم دولة العدل، كتم الإمام العسكري ولادة الإمام المهدي بسبب البحث الذي كان يقوم به العباسيون عن المولو د المنتظر لقتله.

لم يسلم الإمام العسكري كأجداده من الملوك العباسيين وملاحقتهم له، وقد فرضوا عليه الإقامة الجبرية في بيته، وكان عليه الحضور في كل اسبوع مرتين إلى دار الخلافة العباسية.

ويُرى أنه في يوم حضوره كان الطريق يعج بالناس من مختلف أطيافهم من الذين يتشوقون لرؤيته والتبرك بنوره بحيث لم يكن يوجد موضع قدم إذا مرّ الإمام الحسن العسكري، فتهدأ الأصوات من هيبته واحترام الناس له، وقد حاول العباسيون مختلف وسائل الاضطهاد والملاحقة لعزل الإمام عن محبيه ومواليه، مثل السجن والمداهمات والمراقبة التي استمرت حوالي ست سنوات ولم يستطيعوا، وقد عاصر الإمام العسكري المعتز والمهتدي والمعتمد العباسي.

وفاته:

توفي الإمام الحسن سنة 260 هـ وهو ابن ثمان وعشرون سنة، وانتقلت الإمامة إلى ولده المهديّ المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، وقد دفن مع أبيه الإمام الهادي في سامراء.

الفصل الخامس عشر

الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام

محمد بن الحسن بن عليّ الهادي، ابن محمد الجواد، ابن علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر، ابن علي زين العابدين، ابن الحسين السبط، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد الإمام المهدي في سامراء، ليلة النصف من شعبان سنة 255 هـ، كان عمره خمس سنوات عندما توفي والده الإمام حسن العسكري..

نصَّ على إمامته رسول الله، ثم الإمام عليّ والأئمة المعصومون من بعده واحداً بعد واحد.

ألقابه: القائم، المنتظر، صاحب الأمر، صاحب العصر، الحجَّة، بقيَّة الله.

آلت الإمامة إلى المهدي وهو في سن صغير، كما آلت النبوة إلى يحيى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. وكما جعل الله عيسى بن مريم ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ نبياً.

أم المهدي هي «نرجس» وكان اسمها «مليكة» وهي تنتسب لوصيّ السيد المسيح واسمه «شمعون».

كان زواجها من الإمام حسن العسكري بناءً لرؤية رأتها مليكة،

مضمونها لقاء بين الرسولين محمد وعيسى وحضر هذا اللقاء. مريم والزهراء.

ولذلك عندما يأتي الإمام المهدي مخلّصاً سوف يرضاه المسلمون والنصارى، وسوف يحقق العدالة المطلقة لجميع شعوب العالم.

الإمام المهدي قضية غيبية

إن قضية الإمام المهدي، هي مسألة غيبية يؤمن بها من كان إيمانه قوياً ويؤمن بالغيب، وهي فكرة موجودة لدى معظم الشعوب والأمم، ولكل أمَّة مخلصها، والمسلمون يؤمنون بالمهدي المنتظر بصرف النظر عن التفاصيل بين المذاهب.

والمهدي الذي يؤمن به الشيعة هو الإمام الثاني عشر، وقد ولد سنة 255 هجرية، وما يزال موجوداً ولكنه محجوب عن الأنظار، وهو سيقيم دولة العدل في العالم، قبل انتهاء الكون وقيام القيامة.

يقول النبي ﷺ: «لو بقي من عمر الدنيا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يظهر ابني المهدي، اسمه كأسمى فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلأت ظلماً[1] وجوراً».

إن مهمة إقامة العدل عجز عنها الأنبياء والرسل والأوصياء، ولكن هذا الوعد الإلهي تشير له الآية القرآنية التي تقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: 5].

الغيبة الصغرى:

بدأت غيبة الإمام المهدي الصغرى عام 260هـ، يوم وفاة والده

---

(1) مسند ابن حنبل.

الإمام حسن العسكري، وكان المهدي يتصل بشيعته بواسطة السفراء، ويكتب إليهم التوقيعات، ويأمرهم بالفعل أو النهي في الأمور الشرعية المهمة ويستقبل الأموال ويوزعها على الفقراء.

سفراؤه:

1 ـ عثمان بن سعيد العُمري، وبعد وفاته انتقلت السفارة إلى ابنه.

2 ـ أبو جعفر العمري وهو ابن عثمان بن سعيد العمري.

3 ـ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي.

4 ـ أبو الحسن عليّ بن محمد السَّمري وهو آخر السفراء توفي سنة 329 هجرية.

الغيبة الكبرى:

وقد بدأت بعد وفاة آخر السفراء، وقد سأل البعض، كيف يستفيد الناس من إمام غائب؟

أجاب الإمام المهدي عن دورهِ في الغيبة الكبرى، فقال:

«أمَّا وجه الانتفاع في غيبتي، كما الانتفاع بالشمس إذا غيَّبها السّحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلِقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم ولا تتكلَّفوا علم ما قد كُفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج»...

وقد أحال الإمام المهدي الناس على الفقهاء لأخذ الأحكام في القضايا المتجددة. وقال: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حُجتي عليكم، وأنا حُجَّة الله عليهم».

وهذا تأكيد لحديث الإمام الصادق عليه السلام الذي يقول فيه: «أمّا من كان

من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلِّدوه».

الحكمة من الغيبة الكبرى:

ولد الإمام وغاب وامتد به العمر، وهذا الأمر هو معجزة إلهية، ولكن ما الحكمة من ذلك؟

الإمام غاب ليقوم بدراسة متأنية لطبائع الإنسان الفرد وللشعوب والدول، للتمرس على أساليب الحكم، ورصد مناهج الأنظمة السياسية المختلفة.

الغيبة هي حقبة تأمل واختبار لذلك فهو يحتاج أن يعيش طويلاً، ليدرس واقع المجتمع الإنساني، ومعاناة الناس من الظلم والفساد، إن الغيبة التي تعايش الأزمنة والشعوب والدول وأنماط الحكام والسلاطين، فهي مفيدة لتشكل خبرة ضرورية لمن يريد أن يقيم دولة العدل المطلق.

إن الأنبياء مع تسديدهم بالوحي الإلهي لم يستطيعوا تحقيق دولة العدالة، لقد حققوا العدل في أنفسهم وفي تصرفاتهم وعلى مستوى افراد وجماعات، لكنهم ما حققوها في مجتمعاتهم.

العالم موعود بإقامة دولة العدل على لسان الأنبياء والكتب السماوية إن فكرة المخلص فكرة قديمة عرفتها الأديان، والإنسان بفطرته تهفو نفسه للعدل، ويكره ويتألم من الجور والظلم.

إن انقطاع الأمل الأبدي بمخلّص يدفع الناس للاحتجاج ويقولوا ما جاءنا بشير ولا نذير، فكانت الإمامة هي البشير والنذير بعد انقطاع الوحي والنبوَّة.

إن وجود الإمام وأن كان غائباً فهو يعطي الأمل بالمستقبل.

سيكون المخلّص مؤيداً من الله ومن الملائكة ليغيّر العالم الغارق بالفساد والظلم، وهذا الأمر يحتاج إلى إعجاز إلهي ولا عجب من ذلك.

ولذلك فإن الإمام المهدي هو بحاجةٍ إلى انصار لإقامة جيش من المؤمنين الصادقين بالإضافة إلى جيش من الملائكة.

لقد وعد الله المؤمنين في معركة بدر مع المشركين بألف من الملائكة، ولكن المجاهدين ظلّوا خائفين لأن العدو كثير، فوعدهم الله بثلاية آلاف ملك، ثم بخمسة آلاف من الملائكة المسوَّمين أي أن لهم علامات يُعرفون بها، وقد جاؤوا على خيل بُلقٍ يعتمرون عمائم صُفر أرسلوها على أكتافهم، وكان هذا الإمداد الإلهي بالملائكة بشرى للمؤمنين ولتطمئن قلوبهم فلا يخافوا ولا يجزعوا.

قال الله تعالى في سورة الأنفال، وقد نزلت الآية يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، وتقول الآية التالية: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: 12].

ثم أنزل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ... وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 124].

لم يكن دور الملائكة في بدر ليقاتلوا، ولكن ليثبِّتوا المؤمنين ويساندوهم، وقد ألقوا الرعب في قلوب المشركين، فتمكن المسلمين من قتل المشركين وأسرهم وهزيمتهم.

ويروى أن أحد المسلمين أحضر أسيراً للرسول وقال: لقد أسرتُ هذا يا نبيَّ الله فنظر الأسير إلى آسره وقال: لا يا محمد ما هذا الرجل

الضعيف أسرني، لو شئت لقضيتُ عليه بضربةٍ واحدة، ولكن الذي أسرني هو فارس رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، مما يدل على عون الملائكة للمؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب الكافرين.

الاعتقاد بالغيب يتطلب جهاداً للنفس للاقتناع واليقين بهذه المسألة، وفيه صبر على تحمل إتهامات الآخرين، وهو صراع بين الكفر والإيمان، فالناس لم يؤمنوا بالأنبياء ومعجزاتهم الإلهية وهم حاضرون بينهم، ولم يؤمنوا بالأئمة المعصومين، ومن المبادىء الأساسية في الإسلام هي أن نؤمن بالغيب، كالإيمان بوجود الملائكة والجن وبأن بعد الموت هناك حياة أخرى وجنة ونار.

الانتصار:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهورهِ، أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تعالى أعطاهم العقول والأفهام والمعرفة، ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً، وانتظار الفرج من أعظم الفرج».

الإنتظار جهاد وفرج لا يؤمن به إلا عاقل عارف عالم.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم، فلينظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظِر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه المنتظرون.

هم أنصار إستشهاديون، يرعبون العدو، ولكنهم لا يفكرون بالظلم ولا يظلمون.

الإمام المنتظر بحاجة إلى قوَّة وأنصار لأن الحكم بلا قوَّة لا يقوم، فالإمام عليّ ما استطاع أن ينفِّذ وصية رسول الله لأن أنصاره كانوا قلّة، مع أنه كان من أشجع الناس وأكثرهم مِراساً في الحرب، وقوته تتخطى قوة البشر وهو قالع باب خيبر.

الانتظار هو استعداد ومرابطة لمواجهة الأعداء وقوَّة رادعة لهم، والتخطيط إلى أنجح الأساليب، ويحتاج إلى وعي وإرادة وعزم ومنهج مرسوم.

الانتظار السلبي:

هناك جماعات قبِلت الظلم لأن الإمام المهدي سينتقم لها، واستسلمت للإضطهاد والفقر والجوع إنتظاراً لظهور المهدي الذي يحقق العدالة، هذا القعود عن السعي لامتلاك القوَّة التي تردع الأعداء حذَّر منه الأئمة والعلماء الكبار بناء على قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

على المنتظرون أن يشكلوا قوَّةً رادعة وممهِّدة لظهور الإمام الغائب، وأن يتحول الأنصار إلى جيش من الإستشهاديين يرعبون العدو، و إلى مساعدين وخبراء ومثقفين بثقافة دينية صحيحة يعرفون حدود الشرع فلا يظلمون ولا يفكرون بظلم.

الإقناع البرهاني بالمهدي:

إن نظرية الإمام المهدي المنتظر والمنقذ والمخلِّص للبشرية جمعاء، من الظلم والشر، هي قضية إنسانية والنصوص فيها هي عنصر إقناع ليس

للمسلمين فقط، او لبعضهم ممن يؤمن بهذه النصوص حول الغيبة، ولكن الناس بمعظمهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ولا عن الإمام المهدي.

إن مليارات البشر لا يعتقدون بالإسلام ولا بنصوصه، لذلك فإن قضية الإمام المهدي لم تُعرف بين الناس، مع أن الغاية الإلهية من وجوده هي إنقاذ البشرية من الإلحاد والفساد والظلم وإعادتهم إلى التوحيد ومعرفة الله وإلى إقامة العدل.

هذه الأهداف تجهلها معظم الشعوب لذلك يجب تبليغها عن طريق إقامة مراكز أبحاث تشرح قضية المهدي المخلِّص بأسلوب يعتمد على الإقناع والبراهين المنطقية التي تخاطب العقل والوجدان، وأن تترجم هذه الأبحاث إلى لغات العالم لإخبار الناس بقضية يجهلونها بالمطلق، مع أن الناس عادة تحب وتُقبِل على قراءة الغيبيات وتحب أن تعرف مصير الإنسان ومصير الكون وخاصة إذا كان الإسلوب جاذباً وواضحاً ومقنعاً.

علامات الظهور:

إن وجود الإمام المنتظر لا يرتبط بعلامات الظهور، فهي لا تؤثر بوجوده ولا بيوم ظهوره، لان وجوده له استدلالاته وظهورهِ مكتوب في اللوح المحفوظ.

تقسيم علامات الظهور إلى قسمين:

العامة، والخاصة:

- العامَّة: تشير إلى أحداث تقع خلال مئات السنين لها دلالات إعجازية ترتبط باخبار جبرائيل للنبيّ بها، والنبيّ بلَّغها للائمة وللناس فتناقلوها.

الخاصَّة: أحداث تقع خلال سنوات أو شهور، منها: ظهور السفياني (الدجال) واليماني، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية.

علامات الظهور تحتاج إلى دراسة نقدية للحشد الهائل من الأحاديث التي دُوِّنت في الكتب، ومنها ما هو معقول، ومنها ما هو متناقض، فإن القيام بدراسة واسعة جريئة تُسقط ما يسيء إلى قضية وجود الإمام المهدي، هو أمر ضروري.

دراسة بعض علامات الظهور:

شخصية الدجال والسفياني، هل هو شخص معيَّن أم حاله معنوية سفيانية دجلية تمثل دولة أميركا وإسرائيل، وتحالف دول الأطلسي وتحالف دول الخليج؟

النداء الذي يسمعه أهل الشرق والغرب قد يكون معناه أن أحد قادة الإمام يوجه نداءً للعالم بواسطة وسائل الإعلام الحديثة، وهذا أمر لا إعجاز فيه، ولكنه كان معجزة في الزمن الماضي منذ ألف سنة، واليوم قد يصل بالصوت والصورة خلال ثوان.

يقول الإمام عليّ عليه السلام عن دولة الإمام المهدي: «يؤيده الله بملائكته، ويعصِم أنصاره وينصره بآياته، ويظهره على أهل الأرض ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً، تدين له البلاد، ولا يبقى كافر إلا آمن وصلُح، وتُخرِج الأرض بركاتها، وتُنزِل السماء بركاتها، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه».

محتويات الكتاب

الفصل الأول 5
سيرة أهل البيت 5
من هم أهل البيت؟ 5
إشكالية الشورى 6
إشكالية الخلافة: 7
شهوة الملك: 11
محبة أهل البيت 12
الشيعة: 13
الأحاديث النبوية: 13
تراث أهل البيت: 14
نهج البلاغة: 14
الصحيفة السماوية: 14
الانتقام من أهل البيت: 14
هل التزم المسلمون بتعاليم القرآن: 15
الصحابة: 15
الأئمة والشهادة: 18
الأضرحة والقباب المذهّبة: 18
وقد نزلت فيهم آياتٍ واضحات: 19
التقاتل بين المسلمين: 19

. وفي عهد أبي بكر قامت حروب الرِّدة. 20
الفصل الثاني 21
النبي محمد ﷺ 21
المبعث: 21
إعلان الإسلام 22
الهجرة إلى الحبشة 22
أهل المدينة وبيعة العقبة: 23
الهجرة إلى المدينة: 23
حروب النبي مع المشركين: أهمها: 24
فتح مكّة 24
فضل النبي 26
معجزة القرآن الكريم 26
الفصل الثالث 27
فاطمة الزهراء عليها السلام 27
الفصل الرابع: 30
الإمام علي عليه السلام 30
نشأته: 30
أقوال الرسول عن الإمام عليّ 31
تتجلى شجاعته في ظواهر كثيرة منها: 32
«نهج البلاغة»: 33
بيعة الغدير: 33
الفصل الخامس: 36
الإمام الحسن عليه السلام 36
قال عنه رسول الله وعن أخيه الحسين: 36

الإمام الحسن والخلافة: 37
وأعلن متوعداً قائلاً: 38
ما هي العوامل التي أدّت إلى صلح الحسن مع معاوية؟ 42
مع زعماء قريش بعد الصلح: 44
الفصل السادس 48
الإمام الحسين عليه السلام 48
الحديث النبوي عن الحسن والحسين: 48
كربلاء: 49
ثورة الحسين عليه السلام: 50
السيرة الحسينية 52
عين آلمها مصاب الحسين: 53
أكّدت الأخبار بكاء الرسول وعلي وفاطمة: 53
قراءة جديدة للتاريخ (العلايلي) 54
الفصل السابع 58
الإمام علي بن الحسين
(زين العابدين) 58
دلائل الإمامة 58
مدرسة الدعاء 59
البعد الإنساني في الصحيفة السجادية: 60
إنسانية زين العابدين: 60
حلمه: 61
رسالة الحقوق: 62
ماذا يقول زين العابدين عن شعائر الحج: 64
الفصل الثامن 66

الإمام محمد الباقر عليه السلام 66
فضله وعلمه: 66
حق آل البيت: 67
الرحلة الأولى إلى دمشق: 67
رحلته الثانية إلى دمشق: 68
رسالته العلمية: 70
الفصل التاسع 72
الإمام جعفر الصادق عليه السلام 72
علومه: 74
أشهر من حدَّث عنه: 74
المدرسة الفقهية: 75
التفسير: 75
علم الكلام: 75
علوم الإمام الصادق في الكيمياء والطب والفلك والنجوم: 76
العلم الإلهي: 76
ومن أقواله: 76
التوحيد والعدل: 77
الجرأة في مواجهة السلاطين: 78
قالوا في الإمام الصادق عليه السلام: 79
دور العقل في المعرفة الإلهية عند الإمام الصادق عليه السلام: 79
الإنسانية والحروب: 81
الإمام الصادق في مواجهة الإلحاد: 81
الدليل على الخالق: 82
الاتجاه الإنساني: 83

التشريع للحريّة: 85
الإصلاح بين الناس: 85
التشريعات الاجتماعية: 86
المنهجية الفقهية: 86
السنّة النبوية 86
المنهج العلمي: 87
الفصل العاشر 89
الإمام موسى الكاظم عليه السلام 89
مدة إمامته: 89
موسى الكاظم والسجن: 89
مؤلفات الإمام الكاظم عليه السلام: 90
فقه الإمام موسى الكاظم عليه السلام 92
العلم: 93
أنواع العلوم: 93
الزكاة والخمس: 95
أولاده: 95
أصحابه: 96
صفاته: 96
أقواله: في برّ الوالدين 96
اقواله في الاقتصاد: 97
عن الأمانة: 97
عن التواضع: 97
الإمام علي الرضا عليه السلام 98
علومه: 99

ولاية العهد: 101
عوامل بيعة الإمام الرضا عليه السلام 102
جوامع الشريعة: 104
في العقيدة: 104
الاحتجاج العقلي: 105
حديث السلسلة الذهبية: 107
وفاة الإمام الرضا عليه السلام 108
الفصل الثاني عشر 109
الإمام الجواد عليه السلام 109
زواج الإمام من ابنة المأمون العباسي: 110
إشكالية خلق القرآن: 113
الفصل الثالث عشر 115
الإمام علي الهادي عليه السلام 115
المكاتبات 115
الإستدلال والبرهان: 116
المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية: 117
الإمام الهادي والمتوكل: 118
الفصل الرابع عشر 119
الإمام الحسن العسكري عليه السلام 119
وفاة الإمام حسن العسكري عليه السلام: 120
مؤلفاته: 120
وفاته: 121
الفصل الخامس عشر 122
الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام 122

الإمام المهدي قضية غيبية 123
الغيبة الصغرى: 123
سفراؤه: 124
الغيبة الكبرى: 124
الحكمة من الغيبة الكبرى: 125
الانتصار: 127
الانتظار السلبي: 128
الإقناع البرهاني بالمهدي: 128
علامات الظهور: 129
دراسة بعض علامات الظهور: 130